13 me Année No. 644

Lundi—5—11—1945

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Litteraire Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الإدارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

بدل الاشتراك عن سنة
ـص
١٠٠ فى مصر والسودان
١٥٠ فى سائر الممالك الأخرى
ثمن العدد ٢٠ مليما

الإعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

العـــدد ٦٤٤ « القاهرة فى يوم الإثنين ٣٠ ذو القعدة سنة ١٣٦٤ — ٥ نوفمبر سنة ١٩٤٥ » السنة الثالثة عشرة

نكبة فلسطين
فى أيدى العرب سلاح ماض

للأستاذ إبرهيم عبد القادر المازنى

نكبت السياسة البريطانية فلسطين على الخصوص ، وبلاد العرب على العموم بوعد بلفور فى إبان الحرب العالمية الماضية ، ولم تحفل بالعهود والمواثيق التى أعطتها للمرحوم الملك حسين . وما كانت ثورة الملك حسين رحمه الله لتحرير الحجاز وحده ، ولو أن هذا كان كل ما يبغى ، لاكتفى بحصار الحامية التركية فى المدينة ، ولما كانت به حاجة إلى تسيير جيش كبير بقيادة ابنه الأمير فيصل (الملك فيصل فيما بعد) لم يزل يسير من نصر إلى نصر حتى دخل دمشق .

وقد ظهر من الصور الشمسية للمكاتبات التى تبودلت بين الملك حسين والسير هنرى مكماهون المندوب السامى يومئذ فى مصر — وقد وزعتها وزارة الخارجية البريطانية على الوفود العربية فى مؤتمر لندن الذى عقد فى سنة ١٩٣٨ من أجل فلسطين ، أن الملك حسين طالب باستقلال العرب فى سورية ولبنان وفلسطين والعراق وشبه جزيرة العرب ، وقد أجيب إلى ما طلب ، فى تحرز كان المراد منه إرضاء مطامع فرنسا فى لبنان ليس إلا ، أما فلسطين فلم يرد عليها أى تحفظ ، ومع ذلك لم تحجم السياسة البريطانية عن وعد بلفور المشهور ! ثم جاء الإنتداب البريطانى على فلسطين فى أعقاب الحرب مباشرة ، فأبى الملك حسين كل الإباء أن يعترف به ، فكان هذا من أسباب تغيّر القلوب عليه فى بريطانيا .

على أن وعد بلفور ، على ما فيه من نكث بالعهود ، ليس فيه أكثر من إقامة وطن قومى للصهيونية « فى » فلسطين . ولم يكن مقصوداً به قط أن يجعل فلسطين كلها وطناً قومياً للصهيونية . غير أن الصهيونيين الذين حاولوا أن يدركوا غايتهم فى العهد العثمانى وأخفقوا ، أرادوا أن يكون وعد بلفور خطوة أولى فى سبيل الغاية التى كانوا يضمرونها ، وهى اجتياح فلسطين والاستئثار بها دون العرب ، ولو أن كل ما يبغون هو إنشاء الوطن القومى لقنعوا بما تم لهم من سنوات ، فقد أنشئ الوطن القومى ، وانتهى الأمر ، ولكنهم أبوا أن يقفوا عند هذا الحد ، فجاءوا بالمهاجرين سراً وعلانية ، وراحوا يتوسعون فى شراء الأرض ويخرجون منها العرب ، فثار العرب ثورتيهم المشهورتين حتى كانت سنة ١٩٣٨ فدعت بريطانيا إلى عقد مؤتمر مزدوج — أو مؤتمرين على الأصح ، واحد بينها وبين ممثلى فلسطين والعراق والدولة السعودية ومصر ، وآخر بينها وبين ممثلى الصهيونيين . وعقد المؤتمران فى وقت واحد ولكن فى مكانين مختلفين . وحاول ممثلو بريطانيا فى هذا المؤتمر أن يهتدوا إلى وسيلة للتوفيق بين الفريقين وإيجاد قاعدة للتعاون ، فتعذر ذلك ، فرأت بريطانيا أن تصدر كتاباً أبيض مبيناً لسياستها ، وكان من قواعد هذه السياسة

تحديد الهجرة الصهيونية فى خمس سنوات ، بحيث لا يتجاوز عدد اليهود فى فلسطين ثلث عدد السكان جميعاً أى نصف عدد العرب ، وأن يحظر بيع الأراضى فى مناطق ، ويباح فى مناطق ، ويجوز فى مناطق أخرى بإذن من المندوب السامى . ورأى العرب أن فى هذا بعض دواعى الاطمئنان فتقبلوا هذه السياسة الوقتية إلى أن يتسنى الفصل فى القضية على وجه حاسم . ثم كانت الحرب ، فأخلد العرب إلى السكينة حتى تضع أوزارها .

ولكن الصهيونيين لا يسكنون ولا يكفون عن السعى ، لأن لهم غاية أبعد من مجرد الوطن القومى الذى فازوا به ، وهى أن يستولوا على فلسطين كلها ويخرجوا العرب منها ، ويقيموا لأنفسهم فيها دولة . وحتى هذه ليست إلا خطوة ثانية فى سبيل غرض أكبر وأعظم ، فقد صرح مندوبوهم فى المؤتمر الصهيونى الذى عقدوه منذ بضعة شهور فى لندن ، بأن الشرق الأوسط كله « مجال حيوى لهم » كما كان هتلر يقول إن شرق أوربه وجنوبها الشرقى « مجال حيوى » للرايخ الثالث .

فالبلاد العربية كلها — لا فلسطين بمجردها — مهددة بالاجتياح والاستعباد الإقتصادى والسياسى إذا نجح الصهيونيون فى إقامة دولة لهم . ومن هنا كان إجماع البلاد العربية على الحيلولة دون قيام هذه الدولة ، دفاعاً واجباً عن الذات .

ولسنا ندرى هل اليهود جميعاً صهيونيون ، أو أن الصهيونيين جماعة منهم ليس إلا كما يزعم البعض ، وإنما الذى ندريه أن الصهيونيين يملكون كل وسائل الدعاية ، وإذا كان هناك يهود غير صهيونيين فإننا لا نكاد نسمع لهم صوتاً ، على أن هذا التمييز لا قيمة له ، والمهم أن الصهيونية قد استطاعت أن تحمل رئيس جمهورية الولايات المتحدة على مناصرتها ، فطلب من بريطانيا أن تأذن فى الهجرة لمائة ألف يهودى فى ألمانيا ، كأن أكثر من مائة مليون فى أوربه يعانون الفاقة والمرض لا يستحقون مثل هذا العطف . ثم إن المهم أن بريطانيا حائرة بين إرضاء أمريكا وإرضاء العرب ، وهى لا تستغنى عن أمريكا ، ولا يوافقها أن تغضب العرب عليها ، فإن بها حاجة إلى أسواقهم وبها حاجة إلى معونتهم إذا تأزمت الأمور وفسد ما بينها وبين روسيا . ثم هى تسعى للاقتراض من أمريكا لتفرج ما هى فيه من أزمة مستحكمة ، وتود أن تضمن عونها أيضاً حيال روسيا .

وهذه حيرة لا تبعث على الاطمئنان ، فيحسن بالعرب أن يتولوا بأنفسهم جميع أمرهم ، وأن لا يعولوا فى إحباط مساعى الصهيونية على أحد غيرهم ، فإذا أنصفتهم بريطانيا فبها ، وإلا مضوا فى سبيلهم حتى يقضى الله بينهم وبين الصهيونيين .

ودعوتى هى إلى المقاطعة التامة الجامعة المانعة لكل ما هو صهيونى ، لا فى فلسطين وحدها ، بل فى البلاد العربية جميعاً ، فقد غزا الصهيونيون أسواقها بسلعهم مغتنمين فرصة الحرب وقلة الواردات من الغرب . وليكن العرب على يقين جازم بأن هذا سلاح ماض ، وأنهم إذا نجحوا فى مقاطعة الصهيونية ، ارتحل القوم عنهم مؤثرين العافية .

ولا سبيل إلى نجاح المقاطعة إلا بالتنظيم وحسن التدبير ، فما تصلح الأمور فوضى . وأظن أن هذا سلاح تستطيع جامعة الدول العربية أن تشهره وتصيب به الصهيونية فى مقاتلها دون أن تحتاج إلى سلاح سواه ، ولن يلومها أحد فيه إذا هى استخدمته فإنه وسيلة سلمية للدفاع عن النفس ، وله مزية أخرى هى أنه يعلم الأمم الغربية أن العرب ليسوا كما مهملا يُقضَى فى أمرهم بغير رأيهم . والغرب يجيد فهم هذه اللغة — لغة المقاطعة — وهو أحرى بأن يكون أحسن فهماً لها بعد هذه الحرب التى هبطت بتجارته إلى الحضيض الأوهد ، وتركته أشد ما يكون حاجة إلى أسواق الشرق الأوسط خاصة .

وثم وسائل أخرى كثيرة ، ولكن هذه الوسيلة أول ما يجب البدء به ، ونجاحها مكفول فلنتوكل على الله ، فما زال صحيحاً أنه ما حك جلدك مثل ظفرك .

ابرهيم عبد القادر المازني

من محاسن التشريع الإسلامي

للأستاذ حسن أحمد الخطيب

للتشريع الإسلامي مزايا ومحاسن ، جعلت شريعته أغنى الشرائع وأوفاها بحاجات الأفراد والجماعات ، وأكفلها بتحقيق طمأنينة الأمم وسعادتها ، وقوتها وعزتها ؛ بل هي إذا اتبعت مع آداب الإسلام ووصاياه الأخرى كفيلة بتكوين أمة مثالية تجتمع فيها عناصر القوة والمنعة ، والحياة الصالحة والمدنية الفاضلة ، وتهيأ لها أسباب التقدم والنهوض إلى أرفع المراتب وأعلى الدرجات ، وبها تستحق خلافة الله في الأرض لتملأها عدلا وأمناً ، وإحساناً ورحمة .

وليس في قدرتنا أن نحصى هذه المزايا لتنوعها وكثرتها ، فحسبنا أن نذكر بعض محاسنها ليكون شاهداً يكشف عما فيها من قوة الحياة ، ونصوع العدالة ، وسمو المبادئ ، ونبل القصد ، وشرف الغاية ، فنقول :

١ — موافقة أحكامه لمقتضى العقل

إن جميع أحكام الشرع الإسلامي جرت على مقتضى العقل ، وجاءت وفق الفطرة السليمة التي فطر الله الناس عليها ، قبل أن تفسدها الأهواء ، وتطغى عليها الشهوات : فما نُصَّ عليه من الأحكام في الكتاب والسنة معقول المعنى ، له حكم جليلة ، وأسرار تشريعية سامية ، حتى العبادات ، لها في جُملتها من الحكم والمنافع والآثار النفسية والتهذيبية والخلقية والاجتماعية ، ما لا يمكن أن يخفى على ذوى العقول السليمة ، ولا يضيرها أنها في بعض تفصيلاتها قد يخفى علينا وجه الحكمة فيها ، فإن خفاءها لا ينفى وجودها ، وقد تكون حكمته في العبادات اختبار قوة الإيمان في العبد ، وامتحان طاعته وامتثاله لربه ، وما لم ينص عليه ، وهي الأحكام الاجتهادية المبنية على الرأى والقياس ، ومراعاة المصالح ، ودرء المفاسد — مصدره العقل وحرية الرأى التي لا تتقيد إلا بمراعاة العدالة ، وإقرار الحقوق ، وما ينبغي أن يراعى من أصول الاجتهاد الشرعى وقواعده .

فشريعة الإسلام شريعة العقل والفطرة ، وليس فيها شيء يخالف القياس الصحيح ، ولذا جاءت رحمة وحكمة ، ومصلحة ونعمة ، قال ابن قيم الجوزية في كتابه الطرق الحكمية :

« ما أثبت الله ورسوله قط حكما من الأحكام ، يقطع ببطلان سنته حساً أو عقلا ، فحاشا أحكامه — سبحانه — من ذلك ، فإنه لا أحسن حكما منه سبحانه ولا أعدل ، ولا يحكم حكما يقول العقل ليته حكم بخلافه ، بل أحكامه كلها مما شهد العقل والنظر بحسنها ووقوعها على أتم الوجوه وأحسنها ، وأنه لا يصلح في موضعها سواها »

٢ — غايته تحقيق مصالح العباد

ومن محاسنه جعل غايته من التشريع تحقيق مصالح العباد في المعاش والمعاد ، ودفع الضر والمفاسد عنهم ، وتحقيق العدالة المطلقة ، فما من حكم منصوص عليه ، أو حكم اجتهادى إلا روعى فيه تحقيق هذه الغاية . قال ابن القيم في كتابه المذكور : « من له ذوق في الشريعة ، واطلاع على كمالاتها ، وأنها لغاية مصالح العباد في المعاش والمعاد ، وأنها جاءت بغاية العدل الذى يفصل بين الخلائق ، وأنه لا عدل فوق عدلها ، ولا مصلحة فوق ما تضمنته من المصالح ، وعرف أن السياسة العادلة جزء من أجزائها ، وفرع من فروعها ، وأن من له معرفة بمقاصدها ، ووضعها مواضعها وحسن فهمه فيها — لم يحتج معها إلى سياسة غيرها ألبتة » .

وقال فيها أحد كبار الكتاب في هذا العصر : « الأمور الشرعية التي دونها الفقهاء المسلمون قبل نحو أحد عشر قرناً تبذ في عدالة أصولها وسمو مستواها واتفاقها مع الحق الطبيعي جميع القوانين الوضعية حتى التي سنت في القرن العشرين ، ثم قال : إن من يتأمل في التشريع الذى استنبطه علماء المسلمين في الرق والأرقاء ، وفي المرأة ، وما يتعلق بها من حقوق طبيعية وروحية ، وفي الأيتام والفقراء ، وفي حقوق المحاربين والمعاهدين ، والأجانب والذميين ، وفي الشئون المدنية والجنائية ، وفي العقوبات والتعزير ... من يتأمل في هذا كله يجد تفوقاً ظاهراً في التشريع الإسلامي على التشريع الأوربي في القرن العشرين » .

ولا شك أن ذلك هو الجدير بشريعة جاءت مكملة لما كان

في إرشــــاد الأريب
إلى معرفة الأديب
للأستاذ محمد إسعاف النشاشيبي

— ١٥ —

ج ١٦ ص ٢٠٠ .

ما أبو عامر سوى اللطف شيء   إنه جملة كما هو روح
كل ما لا يلوح من سرمعنى   عند تفكيره فليس يلوح

وجاء في شرح (جملة) : الجملى من الرجال الضخم الأعضاء التام الخلق .

قلت : (فليس يروح) لا يذهب ، لا يعزب عن علمه بل يدركه ويذهنه .

ويعني بقوله (جملة كما هو روح) أنك إن عددته إنسانا من الأناسي مؤلفا من لحم ودم أصبت ، وإن قلت : إنه روح من الأرواح كأنه ملك من الملائكة صدقت . وصدر البيت — وفيه اللطف — يساعد على هذا التأويل .

***

ج ٥ ص ١٦٨ : ودعا بقهرمانه :

قلت : ضبط اللسان (القهرمان والترجمان) بالفتح والضم .

وفي النهاية : هو كالخازن والوكيل والحافظ لما تحت يده والقائم بأمور الرجل بلغة الفرس .

وقد أخذت العربية ذات التقدم والشجاعة هذه اللفظة الأعجمية ، ثم اشتقت منها فعلا[1] . جاء في تاريخ بغداد للخطيب (ج ٧ ص ٣٢٠) :

الحسن بن سهل بن عبد الله أبو محمد هو أخوذي الرياستين الفضل بن سهل . كانا من أهل بيت الرياسة في المجوس ، وأسلما وأبوهما في أيام هارون الرشيد ، واتصلوا بالبرامكة ، وكان سهل (يتقهرم) ليحيى بن خالد بن برمك .

***

ج ١٧ ص ٢١٦ : قال (علي بن محمد الجلابي الواسطي) : وأنشدنا (ابن بشران) وقد انقطع الناس عن عيادته والدخول إليه :

مالي أرى الأبصار بي جافيه   لم تلتفت مني إلى ناحيه
لا ينظر الناس إلى الميت لا   وإنما الناس مع العافيه

قلت : (لا ينظر الناس إلى المبتلى) والبيتان من مقطوعة عزاها أبو الفرج في (بعض أخبار إبراهيم بن المهدي) إلى علية بنت المهدي . وقال : في أخبار (علية بنت المهدي) : « الشعر لأبي العتاهية وذكر ابن المعتز أنه لعلية » وقد تمثل بالبيتين هذا العالم العظيم المحدود غير المجدود . قال ياقوت : ... صاحب نحو ولغة وأخبار ودين وصلاح ، وإليه كانت الرحلة في زمانه ، وهو عين وقته وأوانه . وكان مع ذلك ثقة ضابطا محررا حافظا إلا أنه كان محدودا ... !

***

ج ٣ ص ١٠٠ : ... وضرب أعناقهم فيه ، وسار ، وأنكر الناس ذلك وتحدثوا به ، وتحببت قلوبهم منه .

وجاء في شرح (نحبت) : اشتد عليهم الأمر .

قلت : (نخبت) : جبنت ، فزعت . في الأساس : إنه لمنخوب ونخيب ونخب : لا فؤاد له . وقد نخب قلبه ونخب كأنما نزع من قولهم نخبت الشيء وانتخبته إذا نزعته ، ومنه الانتخاب : الاختيار كأنك تنتزعه من بين الأشياء .

***

(١) لي مبحث في هذا المعنى سأنشره في (الرسالة الغراء) في وقت من الأوقات إن شاء الله .

في الشرائع قبلها من قصور أو نقص بعد أن استعدت أمم البشر لتلقي هذا الكمال ، ونضجت لتقبل أسمى المبادئ وأشرف الغايات والمقاصد ، وهو قمن بشريعة عامة جاءت لإصلاح البشر كافة بعد أن كانت كل شريعة قبلها خاصة بأمة معينة ومقصورة على زمن محدود : روي عن صاحب الشريعة محمد صلوات الله وسلامه عليه أنه قال : « مثلي ومثل الأنبياء من قبلي كمثل رجل بنى دارا فأكملها إلا موضع لبنة ، فكان من دخلها فنظر إليها فأعجب بها قال : ما أحسن هذه الدار إلا موضع هذه اللبنة ، فأنا اللبنة ، بي ختم الله الأنبياء والمرسلين »

(البحث موصول)   حسن أحمد الخطيب

ج ٤ ص ٦٦ : أحمد بن على الأسوانى :

وزلت مقهور الفؤاد ببلدة   قل الصديق بها وقل الدرهم !
فى معشر خلقوا شخوص بهائم   يصدى بها فكر اللبيب و يُبهَم
فالله يغنى عنهم ، ويزيد فى   زهدى لهم، ويفك أسرى منهم

وجاء فى الشرح : يقال : صدى الرجل يصدى صدى : عطش ، أو هو شدة العطش ، كناية عن تبلد العقل .

قلت : (فالله يغنى عنهم) و (يصدى) هى (يصدأ) تخفف وهو مثل حبيب :

لم آتها من أى وجه جئتها   الا حسبت بيوتها أجداثا
بلد الفلاحة لو أتاها جَرْوَل   أعنى الحطيئة لاغتدى حراثا[1]
تصدا بها الأفهام بعد صقالها   وترد ذكران العقول إناثا[2]

وروى ابنُ قتيبة فى (عيون الأخبار) لبعض الشعراء :

إنى أجالس معشرا   نوكى أخفهم ثقيل[3]
قـوم إذا جالستهم   صدئت بقربهم العقول
لا يفهمونى قـولهم   ويدق عنهم ما أقـول
فهمُ كثير بى وأعلم (م)   أنى بهـم قليـل

وللأسوانى هذا البيت من جملة قصيدة :

ومالى إلى ماء سوى النيـل غلةٌ   ولو أنه (أستغفر الله) زمزمُ

* * *

ج ١٩ ص ٢٧٦ : هبة الله بن صاعد المعروف بابن التلميذ كان واحد عصره فى صناعة الطب متفننا فى علوم كثيرة ... وكان عارفا بالفارسية واليونانية والسريانية متضلعا بالعربية ، وله النظم الرائق والنثر الفائق .

قلت : (متضلعا من العربية) كما جاء فى (ج ١٩ ص ٢٨٢) وهو كلام مولد غير مستنكر . والذى قالته العربية الأولى هو ما جاء فى (المصباح) : تضلع من الطعام امتلأ منه . وفى النهاية وفى حديث زمزم فأخذ بعراقيها[1] فشرب حتى تضلع أى أكثر من الشرب حتى تمدد جنبه وأضلاعه ، وفى حديث ابن عباس : أنه كان يتضلع من زمزم . وقال الاساس : « وأكل وشرب حتى تضلع » ولم يذكره فى مجازه . وفى مقدمة (القاموس) ... بما يتضلع منه (أى من علم اللغة) قال شارحه : قال ثعلب : تضلع امتلأ ما بين أضلاعه

* * *

ج ٦ ص ٦٠ : ... وكان (اسحاق بن إبراهيم البربرى المحرر ويعرف بابن النديم) يحرر الكتب النافذة من السلطان إلى ملوك الأطراف فى الطوامير[2] ، وكان فى نهاية الحُرفة[3] والوسخ ، وكان مع ذلك سمحا لا يليق على شىء .

وجاء فى شرح (لا يليق) أى لا يمسك من جوده على شىء .

قلت : لا يليق على شىء أو لايليق شيئا . فى الأساس : فلان لا يليق بكفه درهم ، ولا تليق كفه درهما : لسخائه . وفى اللسان قال الأصمعى للرشيد : ماألاقتنى أرض حتى أتيتك يا أميرالمؤمنين . الأزهرى : العرب تقول : هذا أمر لايليق بك ، معناه لا يحسن بك حتى يلصق بك . وقول الأصمعى الذى رواه اللسان هو فى هذا الخبرذى الفائدة ، وقد نقله ابن خلكان :

الأصمعى قال : دخلت على الرشيد هارون ومجلسه حافـل ، فقال : يا أصمعى ، ما أغفلك عنا وأجفاك لحضرتنا !

قلت : والله يا أميرالمؤمنين ما ألاقتنى بلاد بعدك حتى أتيتك . فأمرنى بالجلوس ، فجلست وسكت عنى . فلما تفرق الناس إلا أقلهم نهضت للقيام فأشار إلىّ أن اجلس ، فجلست حتى خلا المجلس ولم يبق غيرى ومن بين يديه من الغلمان فقال: يا أبا سعيد ،

(١) قلت فى ج ١٠ ص١٣٥ : (أرض الفلاحة) وفى الديوان وغيره (بلد الفلاحة) .

(٢) يرى بعضهم أن يكتب مثـل هذا الفعل (يصدأ) إذا خفف بالياء ، وأنا لا أرى هذا الرسم .

(٣) لك أن تحرك أو تسكن .

(١) العراقى جمع عرقوة الدلو وهي الخشبة المعروضـة على فم الدلو ، وهما عرقوتان كالصليب ، وقـد عرقيت الدلو إذا ركبت العرقوة فيها (النهاية) .

(٢) جمع الطامور والطومار : الصحيفة . فى التاج : ذكرها ابن سيده ، قيل : هو دخيل ، قال : وأراه عربيا محضا لأن سيبويه قد اعتد به فى الأبنية فقال : هو ملحق بفسطاط . وفى (صبح الأعشى) : المراد بالطومار الكامل من مقادير قطع الورق أصل عمله ، وهو المعبر عنه فى زماننا بالفرخة . حكى الدورقي أن عمر بن عبد العزيز أتى بطومار ليكتب فيه فامتنع وقال : فيه ضياع الورق وهو من بيت مال المسلمين (ج٢ص٤٩)

(٣) الحرف — بالضم — الحرمان كالحرفة بالضم والكسر (التاج)

ما معنى قولك : ما ألاقتنى بلاد بعدك ؟ قلت : ما أمسكتنى يا أمير المؤمنين ، وأنشدت قول الشاعر :

كفاك كف ما تليق درهما
جودا وأخرى تعط بالسيف دما(١)

أى ما تمسك درهما . فقال : هذا أحسن . وهكذا فكن ، وقرنا فى الملا ، وعلمنا فى الخلا ، فإنه يقبح بالسلطان أن لا يكون عالما ، إما أن أسكت فيعلم الناس أنى لا أفهم إذ لم أجب ، وإما أن أجيب بغير الجواب فيعلم من حولى أنى لم أفهم ما قلت .

قال الأصمعى : فعلمنى أكثر مما علمته ...

* * *

ج ٩ ص ٢٣١ : (الرضى من قصيدة فى رثاء ابن الحجاج) :

لسان هـــو الأزرق القعضبى
تمضمض فى ريقـــه الأفعوانى

وجاء فى الشرح : القعضبى نسبة إلى قعضب وهو رجل كان يصنع السنان . الأفعوانى منسوب إلى الأفعوان وهو الثعبان فهو صفة لريق .

قلت : (تمضمض فى ريقة الأفعوان) . فى الصحاح : الريق الرضاب والريقة أخص منه . وفى (ديوان الرضى) : « من ريقة » و (فى) أصح من (من) .

* * *

ج ١٦ ص ١٥٠ : قال أبو العباس ثعلب : جمع الحسن بن قحطبة عند مقدمه مدينة السلام الكسائى والأصمعى وعيسى بن عمر ، فألقى عيسى على الكسائى هذه المسألة : (همُّك ما أهمَّك) فذهب الكسائى يقول : يجوز كذا ويجوز كذا . فقال له عيسى : عافاك الله ، إنما أريد كلام العرب ، وليس هذا الذى تأتى به كلام العرب .

قال أبو العباس : وليس يقدر أحد أن يخطىء فى هذه المسألة لأنه كيف أعرب فهو مصيب . وإنما أراد عيسى بن عمر من الكسائى أن يأتيه باللفظة التى وقعت إليه .

قلت : هذا مما قيل فى المسألة ...

فى (التلويح فى شرح الفصيح) لأبى سهل محمد الهروى . والفصيح للامام ثعلب :

وتقول : (همُّك ما أهمَّك) فهمك مرفوع بالإبتداء ، وما أهمك خبره ، وتقديره حزنك هو الذى حزنك ولم يحزن جارك ولا غيره من الناس . وأهمنى الشىء بالألف حزننى ، وهمنى بغير ألف أذابنى . (ص ٧٦)

وفى (المخصص) للامام ابن سيده :

(همَّك ما أهمك) يعنى أذابك ما أحزنك (ج ١٣ ص ١٣٨) .

وفى (مجمع الأمثال) للامام أبى الفضل أحمد الميدانى :

همُّك ماهمك ، ويقال همك ما أهمك . يضرب لمن لا يهتم بشأن صاحبه إنما اهتمامه بغير ذلك . هذا عن أبى عبيد . يقال : أهمنى الأمر إذا أقلقك وحزنك . ويقال : همَّك ما أهمك أى آذاك ما أقلقك . ومن روى همك بالرفع فمعناه شأنك الذى يجب أن تهتم به هو الذى أقلقك وأوقعك فى الهم .

وفى (لسان العرب) للامام أبى الفضل محمد بن مُكرَّم المصرى :

قال أبو عبيد فى باب قلة اهتمام الرجل بشأن صاحبه : (همُّك ما همك) ويقال : همك ما أهمك جعل ما نفيا فى قوله ماأهمك أى لم يهمك همك . ويقال معنى ما أهمك أى ما أحزنك ، وقيل: ما أقلقك وقيل ما أذابك ...

* * *

ج ١٢ ص ٢٣٣ : كان ابن سيدة منقطعا إلى أبى الجيش مجاهد ...

قلت : فى (وفيات الأعيان) ابن سيده : بكسر السين وسكون الياء وفتح الدال وبعدها هاء ساكنة .

قال ابن خلكان : وكان ضريرا وأبوه ضريرا أيضاً . وكان أبوه قيما بعلم اللغة ، وعليه اشتغل ولده فى أول أمره .

ومن تصانيفه — كما ذكر ياقوت — (المخصص) وقد طبع و (المحكم والمحيط الأعظم) رتبه على حروف المعجم وهو اثنا عشر مجلدا . ومنه نسخة مخطوطة فى (دار الكتب المصرية) عمرها الله !

* * *

فى القسم — ١٢ — فى آخره : لم تنفض أسنانه وهى لم تنفض

(١) طارت الياء فى (تعطى) ضرورة .

الأجانب في البلاد العربية (*)

للدكتور جواد علي

فى الكتب اليونانية القديمة أسماء مستعمرات أنشأتهـا الجاليات الأجنبية فى البلاد العربية . تقع أكثرها على سواحل البحر الأحمر أوالسواحل الجنوبية . وقد عنى المستشرقون بالبحث عن هذه المستعمرات وعن مواقعها وآثارها . ومن أشهر هؤلاء المستشرق النمساوى الشهيرالرحوم كلاسر فى كتابه القيم «صورة تاريخ البلاد العربية وجغرافيتها(1)» .

وقد أنشئت هـذه المستعمرات على ما يظهر لتموين القوافل البحرية ولحراستها من هجمات قرصان البحر ، ولإقامة البحارة والتجار . ولما ضعفت الأمم وهزلت ولم يعد فى إمكانها إمداد هذه المستعمرات بالمؤن والرجال استعرب من كان فى هذه الثكنات الحربية واندمج فى مجموعة القبائل العربيـة . وهذا ما يفسر لنا وجود بعض الكلمات الأجنبية فى اللغة العربية قبل ظهور الإسلام بزمان طويل ووجود بعض القبائل العربية ذات السحن الغريبة فى داخل شبه الجزيرة .

ومن جملة تلك المستعمرات مستعمرة «العيلاميين» Ailamiter المتاخمة لأرض المعينين وقد ذكرها المؤرخ « بلينيوس» Plinius الشهير فى جملة الأماكن التى ذكر أسماءها فى أرض المعينين(2) .

ورأى المستشرق كلاسر أن هذه المستعمرة العيلامية هى من بقايا العيلاميين المعروفين سكنة عيلام « ailam » سكنوا فى هذه المنطقة بعد أن تمكن العيلاميون من الاستيلاء عليها وظلوا فيها بعد زوال دولة العيلاميين(3) . ويأتى هذا المستشرق بدليل هو أن هذه المنطقة التى نتحدث عنها وجميع أرض عمان قد كانت فى عهد المؤرخ « بلنيوس » (Plinius) تحت سيطرة الإرشاكيين «Arsaciden»(1) وورد فى نص «Adules» الأكسومى(2) إسم يشبه هذا الإسم هو «atalimu» «عظالم» من كلمة « عظلم »(3) . وقد وردت هذه التسمية فى كتاب «صفة جزيرة العرب» للعالم الشهير الهمدانى الإختصاصى فى تاريخ اليمن(4) . فلا يستبعد إذاً أن تكون هذه الكلمة محرفة عن « Ailamite » التى ذكرت فى كتاب « بلنيوس » المذكور .

وتعرف المستشرق المذكور على مستعمرة أخرى هى «امبلونه» «Ampelone» وقد ذكرها بلنيوس أيضاً(5) ويرجح أن سكانها من « milesier » الملاطيين اليونانيين(6) . وتقع فى المحل المعروف باسم وادى العمود على مقربة من السواحل التى اشتهرت بالذهب وهى بلاد العسير(7) على رأى المستشرق شبرنكر « Sprenger » . غير أن أوصاف هذا المحل لا تنطبق على الأوصاف التى ذكرها المؤرخ بلنيوس تمام الانطباق(8) .

والأرجح أن يكون هذا المكان فى الشمال بعيداً عن منطقة نفوذ السبئيين . وأحسن مكان يصلح لأن يكون محلا مناسبـاً لسكنى اليونانيين هو فى شمال الحجاز ، على سواحل البحر الأحمر حيث تبعد المنطقة عن سيطرة السبئيين وحيث يمكن الاتصـال بمصر وفلسطين .

والظاهر أن سكان هذه المستعمرة من « Milethus » المكان الذى أنجب الفيلسوف طاليس « Thales » والفيلسـوف انكسمندر « Anaximander » وانكسمانس « Anaximenes » . وكان سكانه على جانب عظيم من الرقى والحضارة والذكاء . وقد ازدهرت فيه الحضارة فى القرنين السابع والسادس قبل الميلاد . غير أن الحزب دب إلى هذا المكان فيما بعد منذ سنة ٤٩٤ قبل الميلاد

(*) من كتاب « العرب قبل الاسلام » للدكتور جواد علي وهو كتاب لم يطبع بعد .

(١) Glaser kizze der Gesch und Geogr Arabi 1890.

(٢) راجع تاريخ بلنيوس المتوفى سنة ٧٩ بعد الميـلاد , Pliny natural History BK VII 6 sprenger p, 95

(٣) عن العيلاميين راجع The historiaus hit of the world فى القسم الخاص عن الفرس .

(١) راجع نفس المصدر .

(٢) Sprenger ski der ges p,96

(٣) نفس المصدر . راجع النصوص اليمنية القديمة والكتب المؤلفة عن جغرافية اليمن القديمة .

(٤) الحسن بن أحمد الهمدانى المتوفى عام ٩٤٥ للميلاد مؤلف كتاب الاكليل وكتاب « صفة جزيرة العرب » طبعة ملر Müller فى مدينـة لايدن « Leyden » سنة ١٨٨٤ — ٩١ فى جزأين

(٥) راجع Glaser p, °95

(٦) نفس المصدر ص ٩٧ .

(٧) نفس المصدر ص ١٥٢ .

(٨) Sprenger Alte p, 291

فارتحل أهله عنه وهاجروا إلى شتى الأنحاء حتى نسى المحل تماماً فى عهد الإسكندر المقدونى الكبير[1].

واختارهؤلاء اليونانيون فرصة مناسبة هى فرصة انتقال الملك من المعينين إلى السبئيين . ففى هذا الوقت لم يكن شمال الحجاز كله بأيدى السبئيين ولم يكن لأهل اليمن أسطول قوى يسيطر على شمال البحر الأحمر فاختار اليونان ذلك المكان .

وليس من المستبعد ذلك فقد كان سكان « Milethus » قد أنشأوا حوالى الثمانين مستعمرة انتشرت فى ساحة واسعة على البحر الأسود وعلى بحر مرمرة وعلى سواحل البحر الأبيض . وأنشأوا لهم مستعمرة فى مصر فى عهد الفرعون « Psammetich » حيث ألفوا أسطولاً قوياً دخلوا به نهر النيل وسكنوا فى أرض اختاروها سميت باسم مستعمرة نبكراطيس « Naukratis »[2].

فمن الجائز كما يقول المستشرق موريتس أن يلتجئ جماعة من هؤلاء إلى الفرس بعد تخريب مستعمراتهم التى أنشأوها فى مصر وأن يطلبوا حمايتهم ، وأن ينتقلوا إلى موضع آخر فاختاروا محلا لا يبعد كثيراً عن مصر ولا يعرضهم فى نفس الوقت إلى اضطهاد المصريين ، هو المكان الذى أسسوا فيه مستعمرة « Ampelone »[3].

وورد فى تاريخ هيرودوتس « Herodotus » نقطة مهمة جداً تخص هذا الموضوع أثناء بحثه عن داريوس الكبير ملك الفرس ذكر أن هذا الملك حمل الملطين « Milisiaus » معه أسرى إلى سوسه « Susa » حيث عاملهم معاملة حسنة ثم أسكنهم مدينة أمب « Ampe » التى أنشأها على سواحل بحر الإريتريا Erythiraean فى النقطة التى يلتقى فيها نهر دجلة بهذا البحر[4]. أما المدينة نفسها مدينة ملطية « Miletus » فقد استولى عليها الفرس[5].

أما موقع مدينة « Ampe » على حد وصف هيرودوتس فيجب أن يكون على الخليج الفارسى حيث يصب نهر دجلة فيه لا على البحر الأحمر كما يظهر ذلك من وصف الرومانى بلنيوس « Plynius » إذ من المعلوم أن مصب نهر دجلة فى ذلك الخليج .

(١) على أثر الحروب فتنقل أكثر السكان قسراً من هـذا المحل . راجع الكتب الباحثة عن حروب الفرس واليونان .
(٢) Moritiz Arabien p, 100 Strabo XVII 27
(٣) Herodotus 20 ampe فى Moritnz p, 100
(٤) Herodotus 6 20 moritnz p, 101
(٥) راجع تفصيل ذلك فى تاريخ الملك داريوس الأول كذلك فى Herodotus 6. 20.

على كل فسواء كان موقع « Ampe » أو « Ampelone » على الخليج الفارسى أو على البحر الأحمر فإن النتيجة واحدة وهى أن اليونانيين كانوا قد سكنوا مدينة أنشئت فى بلاد عربية وعاشوا فيها وتاجروا ، ثم اندمجوا بعد ذلك واختلطوا بالوطنيين .

والأرجح أن يكون محل تلك المستعمرة على سواحل البحر الأحمر فى شمال الحجاز. وفى أقوال ثيوفراستوس-Theophrastus « ٢٨٨ ق.م » ما يؤيد هذا الرأى[1]. وأصبح هذا المحل فى عهد « بلنيوس » تحت سيطرة الحكومة السبئية . ولما ضعف نفوذ هذه الحكومة تغلبت القبائل المتوحشة على هذا المكان كما يظهر ذلك من أقوال مؤلف كتاب « Periples maris Erythraei »[2] فصار التجار يتجنبون جهد الإمكان هذا المكان .

يقول المستشرق كلاسر : كانت هـذه المنطقة ملتقى مختلف القبائل . نقطة يجتمع فيها التجار من كل مكان . وقد كانت معروفة عند الكتاب اليونانيين والرومانيين وقد ذكر بطليموس أسماء عدة قبائل نزلت هذا المحل[3] .

وتحدث ديودورس الصقلى عن شعب دبن « Deben » كان يسكن على سواحل البحر الأحمر فى موضع يصح أن يكون فى عسير. وهذا الشعب لا يضيف أحداً من الغرباء إلا إذا كان الغريب من « Bootien » أو « Peloponnes » لاعتقاده وهذا يرجع إلى أسطورة قديمة إن هذه الشعوب الثلاثة ترجع فى النسب إلى جد واحد هو هرقل « Hercules »[4].

وفى العهد القديم اسم موضع دعى « ياوآن » « Jawan »[5] ذكر فى جملة الأماكن التى كانت تتاجر مع مدينة صور[6]. تدل القرائن على أن المقصود منه موضع من المواضع الواقعة فى جنوب البلاد العربية ولعل ذلك فى اليمن[7] ، وقد يكون اسم قبيلة من القبائل العربية[8] وتطلق كلمة « Jawan » فى أكثر آيات العهد

(١) Glaser p, 154 Theophrastus. Historia Plautarum.
(٢) Glaser. p, 154. Ptolemy. Geographia ed. Carolus. F. A voble.
(٣) نفس المصدر .
(٤) Glaser p, 154 Diodor. Histo. Bibli. 3, 43.
(٥) راجع حزقيال ٢٧ آية ١٩.
(٦) راجع نفس المصدر أيضاً قاموس الكتاب المقدس جـ٢ ص٤٩٣ Hastings. p, 427.
(٧) نفس المصادر .
(٨) نفس المصادر .

القديم على اليونانيين ، فهل يمكن أن نجد صلة بين الإسمين ؟

قال بعض المستشرقين : المعقول أن يكون هذا الموضع اسم مستعمرة كان اليونانيون قد سكنوا فيها بدافع المتاجرة . لا سيما وقد ثبت عندنا أن الأجانب كانوا قد أسسوا لهم المستعمرات فى مختلف أنحاء شبه الجزيرة . فمن المعقول أيضاً أن يكون موضع تلك المستعمرة فى (جينة) الذى ذكره الهمدانى فى عداد الأماكن الواقعة فى أراضى «جهينة» الواقعة بين حرّة النار وبين الربذة[١] وقد ورد ذكره أيضاً عند البكرى فى جملة الأماكن التى مرّ بها الرسول حينما غزا بنى قريظة ثم بنى لحيان[٢] .

وذكرت أسماء مستعمرات أخرى أنشئت فى مختلف أنحاء بلاد العرب . مثل أريتوزا « Arethusa » ولاريزا « Larisa » ومستعمرة كلسيس « Chalcis » وغيرها[٣] . لم يذكرها بلنيوس أماكنها بالضبط ولم يحدد مواقعها . فلا ندرى أكان يقصد من مدينة لاريزا « Larisa » مثلا مدينة لرسا « Larsa » أو لرسام « Larsam » التى ذكرت فى النصوص الأشورية ، أو أنه قصد محلا آخر . ولا ندرى أكان يقصد من أريتوزا « Arethusa » المحل الذى ذكره هو وهو بحيرة كان نهر دجلة يموّنها بالماء[٤] أم لا .

على أن هذه الأسماء الثلاثة هى من الأسماء اليونانية التى طالما يتكرر ذكرها فى الشرق ، وهى أسماء مدن حديثة أنشأها اليونانيون فى الشرق لإعادة ذكرى المدن اليونانية القديمة . فهناك مدينة أريتوزا « Arethusa » وهى مدينة أنشئت فى سوريا قديماً بين حمص وحماة . وأطلق اكزينوفون « xenophon » اسم لاريزا « Larisa » على قسم من أقسام مدينة نينوى القديمة وربما عنى بذلك ريزن « Resen »[٥] وهنالك محل آخر عرف بهذا الإسم يقع فى منطقة أبامين (Apamene) فى الشمال الغربى من (حماة) (Hama)[٦] . وأما كلكيس « Chalkis » فهو الإسم القديم لمدينة « قنسرين » « Kinnesrin » فى جنوب حلب واسم مدينة أخرى تقع فى جنوب البقاع بيكا «Bika» برى

(١) نقلا عن صفة جزيرة العرب ج ١ ص ١٢١ . Glaser. p,428

(٢) نقلا عن Glaser. p, 429

(٣) راجع maritnz p, 101 والمصادر التى تبحث عن المدن اليونانية

(٤) Glaser p, 157

(٥) Morituz p, 101

(٦) Moritnz p, 101 Xenophon ancle 3 4 7

اصطيفان البيزنطى «Stephanus Byz.» أن مؤسسها ملك يعرف باسم موفكسوس «Movixos» العربى ، وكان يطلق على هذا المحل « عين غار » وعرفت اختصاراً فى الأيام المتأخرة باسم « عنغار »[١]

واشتهر أحد ملوك السلوقيين وهو نيكاطور السلوقى «Nikator Seleukus» ببناء المدن وقد بنى ثلاث مدن حديثة فى فلسطين حملت نفس الأسماء المتقدمة الثلاثة . ولا يستبعد أن يكون هذا الملك قد أنشأ ثلاث مستعمرات بهذه الأسماء على سواحل البحر الأحمر لحماية الخطوط البحرية ولتموين السفن . ولما انتزع البطالسة أرض فلسطين من خلفاء هذا الملك كانت هذه المستعمرات فى جملة ما أخذ منهم[٢] .

وورد فى النصوص اليونانية اسم « Insulae Dorical » أى جزيرة الدوريين . فهل لهذه الجزيرة علاقة باليونانيين الدوريين وهل حل هؤلاء فى شبه جزيرة العرب ؟

يقول المستشرق موريتس : لا نستطيع أن نقول شيئاً جازماً فى هذا الباب ، على أن هنالك جزيرة ورد اسمها فى نقشى رستم لداريوس باسم « Imykuduru »[٣] والظاهر أنها جزيرة سقطرة وهنالك جزيرة « Dioscorides » حل بها اليونانيون بقرون عديدة قبل الميلاد[٤] يرى أنها هذه الجزيرة نفسها فلا يستبعد أن تكون جزيرة سقطرة إحدى الجزر التى نزل بها اليونانيون[٥] . ويستشهد المستشرق بدليل ما ذكره المسعودى عن استيلاء الإسكندر المقدونى على هذه الجزيرة بإشارة من الفيلسوف المشهور أرسطو إليه[٦] . وما ذكره المسعودى أيضاً من وجود النصرانية فى هذه الجزيرة أيضاً ، وهو قول يؤيده بعض الكتبة اليونانيين حتى قيل إن اللغة اليونانية كانت معروفة فى هذه الجزيرة إلى القرن السادس الميلادى[٧] .

وورد فى «نقشى رستم» اسم محل دعى بوتا « Pûta » فى ضمن

(١) Moritny p, 101

(٢) نفس المصدر .

(٣) راجع نص « نقشى رستم » والكتب المؤلفة عن داريوس الكبير

(٤) Mortinz p, 102

(٥) نفس المصدر

(٦) Mortinz p, 102 . نقلا عن المسعودى ج ٣ ص ٣٦ ، ٣٧ الطبعة الأوربية .

(٧) نفس المصدر

جدول أسماء الأماكن التي خضعت لهذا الملك . يرى المستشرق كلاسر أنه مستعمرة من مستعمرات اليونان الأيونيين (Ionions) الذين كانوا يسمون بهذا الإسم أيضاً . وحاول التوفيق بين هذه الكلمة وبين كلمة فودا «Foda» التي وردت في نص المؤرخ بلنيوس والتي عين محلها . وعلى هذه الفرضية تكون مستعمرة « Puta » مستعمرة يونانية من جملة المستعمرات التي أنشأها اليونانيون على سواحل البحر الأحمر(١).

وفي « نقشي رستم » لداريوس أسماء أخرى كثيرة حاول المستشرق كلاسر أن يجد أماكنها في شبه جزيرة العرب من كلمة اسبردا «Sporda» حتى كلمة بوتا «Puta»(٢). وهو يجهد نفسه في ذلك إجهاداً بيناً ، ويأتي باحتمالات قد تكون بعيدة لتأييد وجهة نظره. فيحاول مثلا أن يجد مناسبة بين عبارة «واليونانيين الذين يحملون على رؤوسهم غطاء مصنوعاً من الشعر » وهي عبارة وردت في نص « نقشي رستم » وبين عبارة وردت في كتاب « صفة جزيرة العرب » للهمداني(٣) عن أهل مخلاف المعافر وما والاه من استعمالهم للسكينية في الرأس(٤).

كان اليونانيون على رأي المستشرق كلاسر وعلى ما يظهر من بعض الملاحظات الواردة في المصادر اليونانية القديمة وفي جملتها « الأوديسة »(٥) على اتصال دائم بالعرب وذلك منذ أزمنة بعيدة قبل المسيح . والظاهر أن اتصالهم هذا كان عن طريق القوافل البحرية التي كانت تدخل في المياه العربيـــة ، وقد تركت تلك الرحلات البحرية انطباعات مخيفة في نفوس اليونانيين ظهرت في الأساطير التي رووها عن بلاد العرب فيما بعد(٦).

وفي المصادر العربية إشارات وردت عرضاً فيها تأييد لما تقدم . غير أن البحث لا يستقيم في الوقت الحاضر إلا بعد زمان حينما يتسنى للعلماء إجراء حفريات علمية وتنقيبات أثرية في أماكن مختلفة من الجزيرة العربية ، وبعد دراسة النصوص اليونانيـــة والرومانيـــة والفارسية والحبشية وتحليلها وتدقيقها تدقيقاً علمياً صحيحاً . وسيظهر للأمة العربية تاريخ جديد تماماً عن العهد المظلم الذي سبق عهد الإسلام والذي نجهله تمام الجهل .

قد يحل لنا هذا البحث مشكلة عويصة قديمة هي مشكلة وجود كثير من الكلمات اليونانية والفارسية والأكسومية (الحبشية) في اللغة العربية قبل مجيء الإسلام(١). وقد ثبت وجود ذلك ثبوتاً لاشك فيه ؛ ثم مشكلة تشابه بعض الأساطير والعقائد التي كان يدين بها العرب مع الأســاطير والعبادات المعروفة في السابق عند اليونانيين والفرس(٢).

ثم مشكلة أخرى هي وجود بعض القبائل العربيــة القديمة التي كانت تمتاز من أغلب القبائل العربية بصفات ومميزات لا يمكن أن تكون من صفات ومميزات الجنس العربي ؛ مثل زرقة العيون وحمرة الوجه وبياضه ولون الشعر وشكل الأنف والجمجمة وطول القامة وغير ذلك مما ذكر عن بعض القبائل العربية القديمة وهي قبائل ربما كانت قد استعربت واندمجت في العرب ونسيت أصلها والوطن الذي جاءت منه .

ثم مشكلة أسماء بعض القبائل وعاداتها وتقاليدها ثم أصنامها وما شاكل ذلك ؛ فكل هذه نقاط غامضة ستحل متى ما عرفنا بأن هنالك جاليات أجنبية كانت تنزل في بلاد العرب ولكن سرعان ما تندمج في هذا المحيط الجديد وتختلط بأهله وسكانه .

وفي التاريخ أمثلة ربما تؤيد هذا الرأي وتقويه ، فقبائل اليهود التي حلت في خيبر ويهود بنو النضير وبنو قينقاع ثم قبائل اليهود التي نزلت في اليمن بعد خراب المعبد على يد الرومان ، ثم القبائل اليهودية التي نزلت على شواطئ الفرات والتي كونت مستعمرات « الكالونه » هنالك وهي أشبه ما تكون بحكومات المدن(٣) (City Kingsdoom) ثم القبائل السريانية المختلفة ؛ كل هذه استعربت وانتسبت إلى أصل عربي وافتخرت بالعرب مع أنها لم تكن من هذا الأصل .

وما بالنا نذهب بعيداً وعشائر « الصليب » أو « الصلبة »

(١) Glaser 337
(٢) نفس المصدر
(٣) راجع كتاب « صفة جزيرة العرب » طبعة D. H. Muller 2 vols Leyden 1884 — 91
(٤) Glaser p, 432 صفة جزيرة العرب ص ٩٩ س ١٣
(٥) Glaser p, 433
(٦) Glaser p, 159 نفس المصدر

(١) راجع الكتب المؤلفة في هذا الباب .
(٢) راجع كتاب ولهوسن Wellhaussen Rest Arab Hied
(٣) راجع Scheerer History of the Jews Dubnow Jewish history.

معلومات جغرافية عن :

الحبشـــــة

للأستاذ عمر رشدى

الأمبراطورية الحبشية القديمة :

تحتل الأمبراطورية الحبشية ، فضلا عن الجزء الذى تحتله من حوض النيل ، أودية الهواش والأدمو والجوبا وخورالجاش وخور بركة ؛ وحوض النيل قوى الصلة ببلاد الحبشة القديمة التى يسكنها الشعب الحبشى والتى تقع فى الجزء الشمالى والشمالى الغربى من الهضبة ، وهذا الجزء الذى يرتكز على أعالى النيل الأزرق والسوباط والعطبرة هو النواة التى تكونت حولها الأمبراطورية الحبشية القديمة وتبلغ مساحته ٤٠٠ر٠٠٠ كيلو متر مربع . ومثل معظم الأقطار الجبلية الأخرى تقسم الظاهرات التضاريسية هذا الجزء إلى وحدات سياسية مستقلة أمثال تيجرى وجوجام وشوا وامهرا ، وهذه هى الممالك الأربع الحبشية الرئيسية ويحكم كل منها رأس ، وليس من السهل توحيد هذه الأقطار تحت سيادة ملك واحد كشأن الأقطار الجبلية عموما .

الحروب والرقيق وأثرهما فى اختلاط الشعوب :

هذا القطر الجبلى قد أصبح إلى حد ما ملجأ للعناصر المختلفة ، ولذلك نجد به صفات ثقافية وجنسية متعددة . وعلى الرغم من أن بلاداً جبلية كالحبشة تساعد على أن تحتفظ الوحدات الجنسية المختلفة بمميزاتها الثقافية وصفاتها الجنسية ، فإن هناك عوامل خاصة دعت إلى الاختلاط والامتزاج من أهمها الحروب الكثيرة وتجارة الرقيق التى كانت منتشرة فى الحبشة إلى وقت قريب جداً على نطاق واسع حتى أن الفرد لم يكن يحسب لدينه حسابا بقدر ما يحسب له إذا ما كان رقيقاً أو حراً . لهذا نجد الصفات الجنسية الخليطة بين الزنجية والقوقازية هى الصفات الغالبة فى الحبشة إذ تمثل نحواً من ٧٠٪ من السكان ، وهناك حوالى ١٥٪ من السكان من الزنوج الصرف كقبائل الشنجلة Shankala . « بمعنى العبيد » التى توجد فى الجزء الجنوبى والجنوبى الغربى من الحبشة . هذا بالإضافة إلى الجماعات النيلوتية الموجودة فى غمبيلا من الأتراك ثم هناك حوالى ١٥٪ من السكان من الجماعات التى تغلب فيهم الصفات الجنسية القوقازية ، وهذه توجد فى الجنوب والشرق والشمال الشرقى . والصفات الجنسية الغالبة هى القامة المتوسطة والشعر المجعد واللون الأسمر القاتم والشفاه المعتدلة .

الهجرة السامية :

الهجرة السامية التى صبغت البلاد الحبشية بالصبغة السامية التى تتصف بها الهضبة الآن ، قد دخلت البلاد قبل الميلاد بعدة قرون « حوالى القرن الخامس » فقد سمع أهل اليمن عن بلاد الحبشة وما فيها من خير وفير ، وساعدهم تشابه بيئة الحبشة ببيئة بلادهم على عبور البحر الأحمر إليها واستيطان الجزء الشمالى منها ، وكانت هذه القبائل التى هاجرت من بلاد العرب الجنوبية تعرف باسم « حبشات » ولذلك أطلق على هذا الجزء الشمالى من الحبشة اسمها ، ومن ثم عمم العرب هذه التسمية فأطلقوها على البلاد كلها الواقعة بين خطى عرض ٤°،١٥° شمالا .

اللغة الحبشية :

كانت الجماعات اليمنية التى هاجرت إلى هذه البلاد لا تتكلم بلهجة واحدة بل بلهجات متعددة ، وكانت اللغة التى تتكلم بها تعرف باسم « الغيز » التى لا تزال لغة المعابد هناك ، ولغة الغيز لا تستعمل الآن ولكن لهجات إقليم تيجرى قريبة منها . أما

وهى عشائر تتكلم العربية وتعيش عيشة بدو العرب فى البوادى[1] على رأى أكثر الباحثين من أصل لا يمت إلى العرب بصلة قد يكون من أصل مسيحى استعرب وتبدى . وقل مثل ذلك عن الفرس والأتراك الذين اندمجوا فى العرب ونسوا أصولهم وعدّوا أنفسهم من أقحاح العرب .

جواد على

(١) راجع أبحاث العلامة الأب أنستاس و La Monde Orienta عن الصليب .

اللغة السائدة الآن فهى اللغة الأمهرية وهى لغة سامية اختلطت بها بعض الألفاظ الحامية وتكتب بحروف تشبه الحروف اليمنية التى تكتب بها لغة اليمن والتى هى لغة حمير ، واللغة الأمهرية هى لغة التعامل والتخاطب ، ولا يزال هناك شعب الأمهرة الذى يحتل الجزء الواقع فى شرق بحيرة تانا وإلى الجنوب الشرقى منها وعاصمتهم أديس أبابا .

الديانة الحبشية :

كما أن بلاد الحبشة كانت ملتقى العناصر المختلفة من حامية وسامية فهى كذلك البقعة التى اجتمعت فيها شتى الديانات من مسيحية ويهودية وإسلامية فضلا عن الوثنية . وقد كان الدين السائد فيها هو الدين اليهودى الذى جاء من اليمن التى كان يسودها هذا الدين قبل انتشار الإسلام ، ولا يزال إلى الآن فى الحبشة جماعات تدين بالدين اليهودى وتعرف باسم « الفلاشة » ويسكنون إقليم سيمين الجبلى ، وإذا نظرنا إلى بيئتهم الجبلية المنعزلة استطعنا أن نفسر بقاءهم إلى وقتنا هذا بعيدين عن المؤثرات المسيحية التى سادت معظم تلك البلاد . ومن بين العشرة ملايين نسمة التى يتكون منها الشعب الحبشى نجد نحوا من ثلاثة ملايين يدينون بالمسيحية التى أدخلها المبشرون إلى البلاد فى القرن الرابع الميلادى وأصبحت دين الأسرة الحاكمة الرسمى سنة ٣٥٠ م عندما اعتنقها الملك « عزانا » ، أما البقية الباقية من السكان فكثرتها تدين بالإسلام ولا يقل معتنقوه عن خمسة ملايين نسمة .

وعلى الرغم من ظهور الإسلام ونفوذه فى الحبشة وقربه منها فقد ظلت الحبشة ملجأ للدين المسيحى وسط الوثنيين والمسلمين واليهود ، فتاريخ المسيحية هناك عبارة عن سلسلة متصلة الحلقات من الكفاح لتثبيت قدمها ومقاومة انتشار الإسلام . وفى الواقع يصطبغ هؤلاء المسيحيون بالوثنية القديمة أكثر منها بالمسيحية، ويتمثل هذا فى بعض عاداتهم مثل تعدد الزوجات ، وأكل اللحم النيء ، ومع أن مسيحيتهم سطحية فاننا نجد حوالى ربع سكانهم من الرهبان ، والديانة السائدة فى الحبشة هى الديانة الأرثوذكسية .

الصلات بين اليمن والحبشة :

كانت هذه الصلات قوية فى أوائل العهد المسيحى وفى القرن السابق له مباشرة، والدماء الحبشية متأثرة تأثرا كبيرا بدماء سكان بلاد اليمن القدماء . ومما يدل على وجود هذه العلاقة بين الأحباش والساميين تلك الأسطورة الحبشية القديمة التى تتصل عناصرها بقصة من قصص الكتاب المقدس والقرآن الكريم وهى قصة ملكة سبأ وسليمان ، فالأسطورة الحبشية تتحدث عن تنين عظيم كان يحكم البلاد قرونا طويلة وكان على جانب عظيم من البشاعة والشراهة إذ كان يفترس يوميا عددا كبيرا من الأبقار والثيران والماعز والضأن إلى جانب مايقدم إليه من العذارى حتى ضاق السكان به ذرعا فلجأ إلى شخص اشتهر بالقوة ليقتل التنين ويتولى الملك ففعل ، وأنجب ابنة هى التى عرفت فى التاريخ باسم ملكة سبأ ، ودخلت فى حرم سليمان وقد وضعت ولدا أطلقت عليه إسم سليا بن سليمان هو المعروف فى التاريخ الحبشى باسم « منليك الأول » الذى أسس الأسرة السليمانية التى جلست على عرش الحبشة من سنة ٩٥ ق . م إلى سنة ١٨٥٥ م .

شعوب الحبشة :

يتكون سكان الحبشة من شعوب مختلفة ، لا تختلف فيما بينها فى الجنس فحسب ، وإنما تختلف أيضا فى اللغة وفى الشكل وفى العادات وفى الدين . ويطلق خطأ على كتلة هذه الشعوب اسم « الأحباش » فهؤلاء لا يمثلون فى الواقع إلا جزءا من هذه الشعوب يبلغ ثلث عدد سكان الحبشة الذى يتراوح بين ٨ و ١٢ مليون نسمة على أرجح التقديرات . ويحتل الأحباش مقاطعتى تيجرى والأمهرة وشمال مقاطعة جوجام وجزءا من وسط مقاطعة شوا ، وتشمل هذه المقاطعات أكثر من ثلث مساحة الأقليم . ويتكون الجزء الأكبر من بقية السكان من فروع مختلفة من شعب الجلا العظيم الذى أخذ يغزو الأقليم منذ بدء القرن السادس عشر الميلادى واحتل جزءا كبيرا منه .

وتنتشر على طول الحافة الشرقية تلك القبائل المسلمة المعروفة باسم الدناقل Danakil والإيسا Issa والصوماليين ، وأخيراً توجد فى الجنوب الشرقى قبائل أوغادن . وتعيش على هامش هذه القبائل الرئيسية السابقة وفى ثناياها أخلاط غريبة من الشعوب التى تميزها صفات خاصة ، ولعل أكثر هذه الشعوب غرابة هى

الفلاشة اليهودية التي تحتل خاصة منطقة جبال سيمين شمال بحيرة تانا ، ثم الجوراج التي تعيش في المنطقة التي تحمل هذا الإسم في جنوب شرقي أديس أبابا .

الأحباش :

الأحباش شعب محارب وهم على استعداد دائم للحرب ، إذ يحمل كل رجل منهم بندقيته باستمرار . وهم شعب فخور باستقلاله الذي تمتع به قرونا طويلة ، فخور بدينه الذي احتفظ به خلال ألف وخمسمائة عام ، فقد ظلت الحبشة أربعة عشر قرنا ، وهي أرض المسيحية في وسط هذه البحار من الوثنية . ومن صفاتهم المعيبة غلظتهم وقسوتهم الشديدة ولا سيما على الحيوان . ويحيط بالحاكم أو الرئيس أعداد كبيرة من الجند ، وهؤلاء في العادة كسالى ولا نفع لهم . ولا تعنى الطبقات الفقيرة بالأخلاق ، فالخمور منتشرة والأمراض الخبيثة تفتك بهم فضلا عن أمراض الجذام والعمى ، ولعل ذلك يرجع إلى كثرة الذباب الذي ينقل جراثيم هذه الأمراض ، وإذا شعر الحبشي بالمرض يدب في جسمه أيقن بأن نهايته قد دنت وفقد كل أمل في الشفاء .

الجالا :

مجموعة الجالا هي أكثر المجموعات الجنسية عددا في الحبشة ، وهي تسكن مساحات واسعة قد انتشروا عليها عند ما لجأوا إلى هذه البلاد في أوائل القرن السادس عشر الميلادي . ويبدو مع ذلك أنهم جنس مميز حامي الأصل قد تفرع الآن إلى فروع مختلفة على الرغم من أنهم يتكلمون لغة واحدة وأنهم قد جاءوا — حسب مايعتقدون — « عبر المياه » أي عبر البحر الأحمر أو ماهو أكثر احتمالا عبر بحيرات أفريقيا الاستوائية الكبرى ، ولكن هذه المسألة لم تبحث بحثا وافيا . وهناك رأي يقول إنهم قد جاءوا من بلاد العرب في زمن بعيد مضى مخترقين أفريقية الشرقية البريطانية ومهاجرين إلى الجنوب الغربي إلى البحيرات الكبرى ومن هناك يمموا شطر الحبشة شمالا مخترقين بورانا Borana ، وعندما جاءوا من الهضبة الوسطى استقروا في المناطق الجنوبية والغربية وبعضهم استقر على الحدود الشرقية بين الحبشة وصحراء آتسار .

والجلا رعاة يحبون الحرب وفيهم صفاتها ، وقد خضعوا أخيرا للامبراطور منليك وذلك لكثرة ما أمده به الفرنسيون من الأسلحة ، ومن ذلك الحين لم تجد هذه القبائل وسيلة لأشباع هذه الطبيعة في نفسها إلا في مقاتلة بعضها البعض الآخر ، أو في شن الغارات على جيرانها ، ولكنهم مع ذلك لا يحتكون مع الأوروبيين أو مع غيرهم من الأجانب . والجلا عموما أكثر سوادا من الأحباش وأقل تقدما . وكلما بعدنا عن العاصمة بدت وحشيتهم التي تتمثل فتشاهد في هيأتهم وعاداتهم خصوصا بين الجماعات الوثنية . وتوجد في إقليم جيلي Gille أقذر جماعة رأتها العين من الجلا ، فالسواد يغشى وجوههم وملابسهم وماشيتهم أيضا ، ويتخذون بيوتا أكواخا حقيرة محاطة بزريبة صغيرة حيث تساق إليها الماشية ليلا لحمايتها . ورائحة هذا المكان وقذارته لا يمكن أن توصف ، ويبدو أن الشمس تعمل كمطهر هذه الأمكنة ، ولهذا السبب على مايظن لا تصيبهم الأمراض على قدر ما يحيط بهم من الأوساخ والأقذار . وجماعات الجلا التي تسكن أقليم شوا أقل توحشا ، فإن تدينهم بالمسيحية جعلهم يفقدون العادات الوثنية القديمة ، كما أن اقترابهم من أديس أبابا جعلهم يتصلون بالأحباش الغازين بطريق الزواج والاختلاط .

والجلا يلبسون ملابس بسيطة فيضع الرجال قطعة من الجلد على أكتافهم أو يلتفون بقطعة من القماش القطنية ، أما النساء فيلبسن رداء من الجلد مكونا من قطعتين إحداهما أشبه «بالجونلة» والأخرى توضع على الأكتاف ، ويحلون بالأساور والعقود والخواتم المصنوعة من النحاس أو الحديد أو العاج . ويظهر أنهم يأكلون أي شيء تقع عليه أيديهم ، ويعتمدون في غذائهم على ما يصيدونه من الحيوانات البحرية ، ويستعملون في صيدهم للأسماك قوارب عجيبة لا تطفو فوق الماء بل تنغطس تحته وبذلك يظل السمك طازجا .

وللجلا طريقة عجيبة في جمع هدايا الزواج ، فعند ما يرغب

شاب فى الزواج ، يقوم والده بتوزيع بعض الهدايا كالماعز بين أقاربه لينال رضاهم ، وتأخذ المسألة هذا النحو عند ما تكون العروس المنتخبة لم تزل فى المهد صبية ، وعند ما تبلغ الثالثة عشرة أو الرابعة عشرة يحدد يوم الزفاف ويذهب والد العروس إلى أصدقائه جميعاً لينتقى الهدايا ، ثم يعود إلى بيته ويصف للخادم هذه الحيوانات التى انتقاها ثم يكلفه بالذهاب لجمعها ، ويندر أن يخطىء الخادم فى معرفة هذه الحيوانات فإن ذاكرتهم قوية جداً . وعندما يتسلمها الأب يرسلها مع الفتاة كنوع من الصداق ، وهو يعلم تماما عند انتقائه لهذه الهدايا أنه سيجىء اليوم الذى يجمع فيه هؤلاء الأصدقاء هدايا لبناتهم ولذلك يختار هذه الهدايا بحذر . وإذا ما هربت امرأة من منزل زوجها وأنجبت من رجل آخر مولوداً ذكراً فإن لزوجها الحق فى أن يعتبر هذا الولد ابناً له وكثيراً ما يحدث ذلك .

بعض عادات الأحباش :

هناك عادات كثيرة للأحباش تجعلهم يختلفون تماما عن معظم شعوب أفريقيا ، فعلى الرغم من أنهم يدينون بالديانة التى أدخلها اليهود الأول إلا أن كرههم لليهود ظاهرة تستحق النظر ، ولعل ذلك الكره ناشىء عن تلك الحروب التى استمرت خلال الفترة بين القرنين الرابع والعاشر بين هؤلاء الذين تحولوا حديثا إلى الدين المسيحى وبين هؤلاء الذين ظلوا يهودا . ومن عادات المهاجرين الأول من الأحباش عادة قطع اللحم وأكله من الحيوان وهو حى ، ويصف لنا « بردس » حادثتان من هذا النوع أولاهما: أن جنودا قادوا بقرة إلى مكان خال حيث أوثقوها وقطعوا منها قطعة من اللحم ثم وضعوا على الجرح بعض الطين ، أما الثانية فقد كانت فى وليمة حيث أحضرت فيها بقرة حية أخذ الضيوف يقطعون من لحمها ويأكلون إلى أن ماتت بعد وقت ليس بالقصير ، ولكن أهل البلاد الآن ينفون حدوث مثل ذلك .

والأحباش لا يدخنون على الرغم من أن الدخان ينمو بطبيعته هناك ، وقد كان الإمبراطور « يوحنا » يعاقب الذين يدخنون بقطع شفاههم ، ولعل هذا المنع جاء نتيجة لاعتقادهم بأن هذه العادة هى عادة إسلامية ، ولكل منهم زوجة واحدة لفترة ما ثم يعقبها زوجات أخر واحدة فواحدة . والطلاق هناك سهل وكثير ، وإذا ما طلقت المرأة صار راغب الرجال فى الزواج منها لكثرة ما تملكه . وللمرأة الحق فى تطليق زوجها بنفس السهولة التى يطلق بها الرجل المرأة . والنساء هناك لا يشتغلن بعمل ما فلا يحملن الماء ولا يغسلن ولا يصلحن من ملابس أزواجهن ولا يطهين . ونساء الطبقة العليا لا يخرجن إلا نادرا وإذا خرجن خرجن محجبات على ظهور البغال ويصحبهن حارس يسير إلى جوارهن .

عمر رشدى

ليسانسيه فى العلوم الجغرافية

من خواطر « جحا » :

غداً تقوم الساعة . . .

« مهداة إلى الذين يزنون الأخبار بميزان المصلحة والهوى »

للأستاذ كامل كيلانى

بهذه القصة النفيسة التالية وأمثالها ، افتتح خواطره « أبو الغصن جحا » ، وقد أهداها إلى ولديه « جَحوان » و « جُحيَّة » ، وما أجدرها أن تهدى إلى ساسة العالم وقادة الشعوب ، فى كل مصر وعصر . لما فيها من تذكِرة وعِبرة ، نقلا عن المخطوط الُجحوى النفيس الذي عثرت عليه . ولعله مكتوب بخط صاحبه أو أحد معاصريه . قال « أبو الغصن عبد الله دجين بن ثابت » الملقب « بجحا » :

« من الحقائق الثابتة عندى أن أكثر الناس قلما يسنيهم من الأخبار والأحاديث إلا ما يوافق أهواءهم ويلائم مصالحهم . وقد جروا على ذلك منذ بدء الخليقة ، وجاريتهم فى ذلك منذ بدء حياتى إلى اليوم . فعاملتهم بمثل حججهم ، وأخذتهم بمثل منطقهم ، هربا من الاشتباك وإياهم فى أخذ ورد وتفاديا من التمادى معهم فى جدال عقيم .

فتم لى ما أردت ، وابتسمت لى الحياة فلم أدع للحزن سبيلا إلى نفسى : وإليكما — يا ولدىّ العزيزين — بعض ما حدث لى فى هذا الباب :

زارنى جماعة من أصحابى — ذات يوم — قُبل أن تولدا بزمن طويل ، فرأوا فى دارى خروفا سمينا رائع المنظر . فتحلب ريقهم شوقا إليه ، وائتمروا بى ليأكلوه . وما لبثوا أن اجتمع رأيهم على أن يوهمونى بأنهم قد علموا من أوثق المصادر التى لا يتسرب إليها الخطأ ولا يتطرق إليها الشك أن يوم القيامة غداً . وما داموا واثقين من ذلك فما معنى الإبقاء على الخروف السمين ، ولماذا لا نسرع بذبحه وأكله قبل أن نفنى ويفنى العالم كله معنا .

فتظاهرت بتصديقهم وأعلنت الموافقة على اقتراحهم ، وقمت إلى الخروف السمين فذبحته ، وسلخت جلده ، بعد أن خرجنا معا إلى الهواء الطلق حيث أوقدت نارا عظيمة ، ثم ألقيته فيها حتى يتم شيه ونضجه .

وتخففت من ثيابى الخارجية واقتدوا بى فى ذلك . حتى لا تعوقنا الثياب عن الانطلاق والمرح والتمتع بالحياة قبل انتهاء الأجل . وتحينت فرصة انشغالهم باللهو واللعب فألقيت بثيابهم فى النار . وما كادوا يفطنون إلى فعلتى حتى انقلب فرحهم غما ، واستولى عليهم الغضب ، فصرخوا مغتاظين : « كيف تجرؤ على إحراق ثيابنا ، ما نحسبك إلا قد جننت ؟ » . فقلت لهم ضاحكا :

« ما دمنا واثقين من أن آخرة العالم غدا ، فما حاجتنا إلى هذه الثياب ! ؟ »

نقد :

النشـــيد السورى

للأستاذ على الطنطاوى

ناظم هذا النشيد أديب كبير ، وصديق كريم ، وهو يعلم أن ليس له عندى إلا الاجلال والتوقير ، وأن الشاعر (وإن نبغ) يسبق تارة ويقصر ، وإن النقد (وإن قسا) لا يصدر عن حقد ، ولا يرمى إلى تحقير ، وإن مصلحة الوطن بإصلاح نشيده تسوغ مفاجأة الصديق الكبير بنقد هذا النشيد . « على »

كانت نشأتنا الأولى فى عهد العثمانيين ، وكانت لهم أناشيد يلقونها علينا باللسان التركى ، لذا لم نكن نفهم معانيها الضخمة إلا بالترجمة ، والترجمة لا تحمل دائماً المعنى كله ، فلقد كانت تهزنا ألحانها القوية المثيرة التى وضعت لتكون لمشاة الجيش قوة وعوناً . وكنا إذا أنشدناها سائرين لا نستطيع أن نقف ، وإذا تلوناها واقفين سرنا ، وإن قرأناها قاعدين حركنا ، من غير قصد منا ، أيدينا وأرجلنا — وإنها لتحرك الحجر ! ثم جاء عهد فيصل ، وكان عهد ازدهار وحياة ، ونشاط بدا فى كل شىء ، فنشطت فيه الأناشيد العربية من عقالها ، فترجمت أكثر الأناشيد التركية ، فكان منها نشيد :

أنا أمى لم تلدنى   إلا للحرب العوان

بنغمته القوية ، ولحنه العاصف — وكان أسير أناشيد ذلك الزمان وأشهرها نشيد : (أيها المولى العظيم) ، الذى اعتبر النشيد الوطنى السورى بل العربى ، على هلهلة أسلوبه ، وضعف معانيه ، يليه فى الشهرة والذيوع نشيد :

أنت سوريا بلادى   أنت عنوان الفخامه
كل من يأتيك يوماً   طامعاً يلقى حمامه

لفخرى بك البارودى ، وهو نشيد ضعيف النسج ، متهافت البناء ، لكن معانيه فى الذروة ، واشتهرت أناشيد أخرى منها نشيد : (سيروا للمجد طراً سيروا للحرب ، واستعيدوا بالمواضى دولة العرب) ؛ ونشيد طلاب المدرسة الحربية : (نحن جند الله شبان البلاد) ، وهو من خيرها لفظاً ومعنى ، وقد جمعها (الفلاح العربى) فى رسالتيه المعروفتين فى تلك الأيام .

ثم لما قضى الله قضاءه فينا فى (ميسلون) ، ووقعت الواقعة ، ودخل العدو ديارنا ، منعت هذه الأناشيد كلها ، إلا أن تردد همساً ، واشتهر يومئذ نشيد الأستاذ أديب التقى رحمه الله : (فى كل صوب حشدت عساكر مدججون) ، الذى يصور فيه موقعة ميسلون ، فكان ينشد وراء الأبواب ، وحيث لا يسمعه الغاصبون، وهو نشيد جيد ، لحنه حزين مؤثر .

وانقطع بعد ذلك سيل الأناشيد الوطنية ، حتى قدم علينا من العراق الكشافون فى المهد الوطنى الأول (سنة١٩٣٦) ، فأخذنا منهم نشيدين اشتهرا فينا وسارا بيننا ، حتى كان الطفل الذى لم يتعلم بعد الكلام يدير فى حلقه كلمات منهما ، وهما (هذا الوطن حق له أن يفتدى بالدما والمهج) و (نحن كشاف العراق) ، والشعر فيهما ليس بذاك ، واللحن فظيع هو أشبه بصراخ لا دلالة له ، منه باللحن الذى يؤثر فى الأعصاب ويحرك القلب ، ولكنهما مع ذلك نشيدان قويان

ووضعت على أثر ذلك أناشيد جيدة منها (نحن الشباب لنا الغد) ، ولكن يعيب لحنه هذه الصيحة المؤنثة فى آخر البيت ، عند تكرار (نحن الشباب) ، فهى صيحة عجوز ثاكل كان لها الأمس ، لا صيحة شباب لهم الغد ، والنشيد العظيم حقاً فى نظمه ولحنه ، ولفظه ومعناه ، نشيد : (موطنى) لفقيد الشعر ابراهيم طوقان — رحمه الله — ومن أجودها لحناً نشيد الأستاذ حسنى كنعان : (أيها الكشاف بادر وارتق أوج العلا) ؛ ولحنه نموذج للألحان الحماسية — نسجل هذا للتاريخ !

وصحت النية على وضع نشيد للجمهورية السورية ، وكانت مسابقة ، ولجنة ، وجائزة ، ثم عدل عن ذلك واختير النشيد الذى قدمه هذا الأديب الكبير ، فلما قرأناه علمنا أنه لوحظ باختياره اسم الشاعر ومنزلته ، وإنه لها لا لبراعة الشعر فرض علينا هذا النشيد ، واحتملناه سنين ، غير أنه لا يصح أن نحتمله الآن ، وقد تم استقلالنا ، أو هو قد أشرف على التمام ، واستقبلنا عهداً من حياتنا جديداً ، ولا بد من بيان عيب هذا النشيد لنستبدل به

* * *

الأصل فى النشيد الوطنى أن يكون على لسان المتكلم ، لأن الأمة هى التى تردده وتنطق به ، وهذا النشيد موجه إلى حماة الديار ، مطلعه :

حماة الديار عليكم سلام
أبت أن تذل النفوس الكرام

فمن الذى يقول هذا الكلام ، ومن المخاطب به ؟ إن كان ينطق به الشباب وهم حماة الديار ، لم يعقل أن ينادوا أنفسهم ، ويسلموا عليها ، وليس هذا من (التجريد) الذى كان يألفه شعراء العرب ؛ وإن كان يقوله غير الشعب لم يكن مقبولا ، لأن النشيد يوضع ليقوله الشعب ، ويترجم به عن آماله ومطامحه .

ثم إن هذا السلام المنكّر ، من منكر القول ، وهو بلهجة أروام الأسكندرية وأرناؤوط الشام أشبه ، وليس يليق بهذا المكان ، ولا محل له فى البلاغة ، هذا إذا كان للسلام ورده داع ولا داعى له هنا أصلا .

ثم يقول بعد هذا :

عرين العروبة بيت حرام
وعرش الشموس حمى لا يضام

فلا يعرف السامع ما عرين العروبة هذا ، أهو الجزيرة أم مصر أم الشام أم العراق ؟ ولا يعرف المسلم (بيتاً حراماً) إنما يعرف البيت الحرام ، لا ثانى له ، فهذا التنكير أولا ، وابتذال اسم البيت الحرام فى كل مكان ثانياً ، كلاهما قبيح . وما هو هذا العرش ، والنشيد نشيد جمهورية ؟ أفنظمه ليكون النشيد الرسمى لبنى أميّة ، وأى شموس هذه؟ وما هذا الإبهام حيث لا يحسن إلا التصريح والتوضيح؟ يأتى بعد ذلك هذا المقطع العجيب :

ربوع الشام بروج العلاء
تحاكى السماء بعالى السناء
وأرض زهت بالشموس الوضاء
سماء لعمرك أو كالسماء

أما (بروج العلاء) هذه فتصح فى كل أرض يريد أن يبالغ فى مدحها القائل ، ولا تدل على ميزة للشام ولا تصفها بصفة فيها ، ولا تعرف بها الغريب عنها ، ولا محببها إلى أبنائها ، فهى كرانى الأستاذ على الجارم التى تصلح لغازى وللاسكندر المكدونى وللشيخ المراغى ، لأنها تهد الجبال وتبكى السماء ، وتقيم القيامة ، أو ترسل على الدنيا قنبلة ذرية ، لا بحجم البيضة ، بل بحجم الفيل ، ثم لا تذكر المرثّى بشىء مما كان عليه . وهذا استطراد نعتذر إلى الشاعر الكبير على الجارم بك منه ، فقد جرته المناسبة .

وما دامت الشام بروج العلاء ، وكان ذلك قد تقرر لدى السامع فما معنى كونها تحاكى السماء ، وبروج العلاء هى السماء فى أفهام الناس كلهم ، وهل السماء أسنى سنا من البروج ؟ المسألة تحتاج إلى خبير فلكى .

ثم إن الضياء هو السنا بالقصر ، أما السناء بالمد فهو الارتفاع ، ومن هنا أطلق على المجد مجازاً ، فصار معنى قوله (بعالى السناء) برفيع الارتفاع ، وهو الحشو نفسه ، وهو إذا قبل فى القصيدة لا يقبل فى النشيد ، لأن النشيد كلمات معدودة وألفاظ محدودة لا يجوز أن يذهب لفظ واحد منها من غير أن يدل على شىء .

وهو بعد أن جعلها بروج العلاء التى تحاكى السماء ، عاد فهبط بها فجعلها (أرضاً زهت) ولكن بالشموس الوضاء ! وما فهمت إلى اليوم ما يريد بهذه الشموس التى يرددها ولا يشبع من ذكرها ، إن كان يريد الحقيقة فهى شمس واحدة ما خلق الله سواها ، وإن كان يقصد المجاز ، فليذكر ما يدل عليه ويصرف الفكر إليه ، وما كل سامع للنشيد أو تال يستطيع أن يجد له التأويل ، هذا إذا كان لهذا الكلام العجيب تخريج أو تأويل .

وأعجب العجب ، وأقبح القبح ، أن يعود بعد كل ما مر ، فيجعلها سماء ، ثم ينزل بها فيجعلها كالسماء ، وهذا ضدّ ما عليه البلغاء فى كل عصر ، وفى كل أمة ، ولا أحسب ذوقاً فى الدنيا يسيغه ، عدا عن هذا الحشو فى كلمة (لعمرك) ، وعمر من هذا الذى يحلف به ؟ ولمن هذا الخطاب ؟ والمفروض فى النشيد كما بينت أن ينطق به الشعب كله ؟ !

وما هو مغزى هذا كله ، وما دلالته ، وأى مجد للشام يذكر ، وأى عاطفة تثير ؟ لا شىء ، إلا هذه المناقشة المزعجة فى الشام : هل هى بروج العلاء تشابه السماء برفيع الارتفاع ؟ أم هى أرض ولكن زهت بالشموس ؟ أم هى سماء (وحياة عمرك ...) أم

٣ – الزندقة

فى عهد المهدى العباسى

للأستاذ محمد خليفة التونسى

الشعوبية:

« أكل كبدى عمر »

« الهرمزان »

« وأبى كسرى علا إيوانه أين فى الناس أب مثل أبى »

« مهيار الديلمى »

« أنا ابن المكارم من آل جم وطالب إرث ملوك العجم »

« فقل لبنى هاشم أجمعين هلموا إلى الخلع قبل الندم »

« وعودوا إلى أرضكم بالحجاز وأكل الضباب ورعى الغنم »

« الموبذ »

« بهاليل غر من ذؤابة فارس
إذا انتسبوا لا من عرينة أو عكل[١] »

(١) عرينة وعكل قبيلتان عربيتان يرمز بهما الرستمى إلى الجيل العربى كله

همو راضة الدنيا وسادة أهلها
إذا افتخروا لا راضة الشاة والإبل »

« أبو سعيد الرستمى »

« عاج الشقى على ربع يسائله وعجت أسأل عن خمارة البلد »

« يبكى على طلل الماضين من أسد
لا در درك قل لى : من بنو أسد ؟ »

« ومن تميم ومن قيس ولفهما ؟
ليس الأعارب عند الله من أحد ! »

« أبو نواس »

* * *

أشرنا فى المقال الأول (الرسالة — العدد ٦٣٧) إلى أن كره الفرس العرب بدأ منذ وطئت أقدامهم أرض فارس فى عهد عمر بن الخطاب ، وأن الهرمزان كان — حين مقامه بعد الأسر فى المدينة — حاقداً على عمر ، وأنه حين وفد سبى جلولاء إلى المدينة كان يمسح على رؤوسهم ويقول : « أكل كبدى عمر »

وأشرنا فى ختام المقال الثانى[١] إلى أن هناك صلة بين الشعوبية والزندقة ووعدنا هناك ببيان هذه الصلة ، وها نحن أولاء نوفى بما وعدنا .

على أننا لسنا هنا فى صدد الكلام المفصل فى الشعوبية وكل ما يتصل بها ، بل همنا أن نعرض بالإيجاز لما يوضح لنا أسباب الزندقة فى عهد المهدى العباسى وآثارها وحقيقتها دون تعرض للشعوبية وما يتصل بها من سائر النواحى الأخر .

فى زمن النبى عليه السلام بدأ بتوجيه كتبه إلى الملوك والأمراء فى شبه الجزيرة العربية وفارس وبلاد الروم ، وفيه توجهت بعض البعوث لمحاربة بلاد غير عربية ، وفى زمن أبى بكر بعد انتهائه من حروب الردة انطلقت الجيوش العربية الإسلامية شرقاً وشمالا تطرق أبواب مملكة فارس والروم ، واستطاعت أن تستولى على بعض بلاد الدولتين ، وما كاد عمر يلى الخلافة حتى عبأ الجيوش وقذف بها الدولتين فدك مملكة فارس دكا ، وفيها انساحت جيوش قائده الأحنف بن قيس حتى بلغت نهر جيحون[٢] ، وكاد

(١) الرسالة : العدد ٦٤١

(٢) انظر فى بيان مواقع الأماكن التى ورد والتى سيرد ذكرها فى هذه المقالات — مصور الممالك الاسلامية والمعجم الذى وضع للكلام فى البلاد التى ذكرت فيه للاستاذ أمين بك واصف .

كالسماء ؟ هذه هى المشكلة الوطنية الكبرى ، ملأ النشيد بذكرها ، وهذه هى آمال الوطن ومطامحه ، والله المستعان !

* * *

وباقى النشيد لا يختلف كثيراً عما ذكرت منه ، على حين أن النشيد يجب أن يكون موضوعاً على لسان الشعب ، وأن يكون قوى العبارة ، خالياً من الحشو ، واضحاً كل الوضوح ، صالحاً لكل زمان ، معبراً عن آمال الشعب وآلامه ومطامحه ، مثيراً نخوته وحماسته ، مشيراً إلى ماضيه وأمجاده ، وجمال أرضه ودياره ، إلى غير ذلك مما يوصل إلى الغاية من وضع النشيد ، وهى إثارة العزة الوطنية فى النفوس ، وأن يختار له النغم القوى من غير خشونة ، العاطفى بلا ضعف . وحياة النشيد بلحنه وما يهز هذا اللحن من أوتار القلوب ، ويحرك من أعصاب السامعين ، فإذا كان لنا نشيد يشتمل على هذا كله ... وإلا فلا تقولوا : لنا نشيد ! !

علي الطنطاوي

يعبر النهر فى مطاردته يزدجرد ملك الفرس لولا أن نهاه عمر عن عبوره اتباعا لسياسته المشهورة التى تقضى ألا تكون بينه وبين جنوش المسلمين مياه ، وفتحت جيوش المسلمين فى عهده الشام ومصر وقد كان القطران خاضعين لمملكة الروم .

كان يسكن هذه البلاد أقوام من أجيال مختلفة لهم ديانات ونحل شتى وكان منهم من رضى عن الفتح الإسلامى لبلاده ، ومنهم من قابله بالحقد والكراهية ، فقد كان معنى هذا الفتح سيطرة الجيل العربى على البلاد التى فتحها ، وسيطرة الدين الإسلامى على أديان أهل هذه البلاد .

ومن الشائع أن المسلمين فى هذه الفتوح إنما كانوا يرمون إلى نشر الإسلام تنفيذاً لفريضة الجهاد فى سبيل الله ، ولكن هناك أمراً ليس بالشائع وإن يكن غرض آخر من الفتوح ، هذا الأمر هو التوسعة بهذه البلاد المفتوحة على سكان شبه الجزيرة من العرب : هو الهجرة من شبه الجزيرة إلى البلاد المفتوحة بعد أن ضاقوا به ، ونصيحة عمر بن الخطاب لجنوده الذين وجههم إلى الفرس تؤيد هذا الرأى ، فالفتوح كانت موجة من موجات الهجرة الكثيرة من شبه الجزيرة إلى ما جاورها من البلاد ، لكن هذه الموجة تمتاز بأنها تحمل ديناً وتدعو إليه .

ونحن حريون أن ننظر إلى هذا الفتوح من هاتين الناحيتين لا من ناحية واحدة ، وألا ندعى لأنفسنا من الفهم للاسلام والعصر الذى ظهر فيه أكثر من فهم عمر الذى كان من أقرب الصحابة إلى النبى وأعظمهم فهما عنه .

ولقد نظرت الأمم التى دانت للاسلام إلى الفتوح العربية على أنها فتوح أمة تنشد لنفسها السلطان على غيرها من الأمم ، وتنشد لدينها السلطان على غيره من الأديان : لم ينظر كثير منهم إلى أن هذه الأمة العربية قد جاءت بدين عام للعربى وغير العربى ، وأنها تفتح بلادهم لتدعو إليه ، بل رأوا أنها فتحت بلادهم للتسلط والاستعمار ، وإن كان حكمها خيراً من حكم سواها ، وأنها تقصد من الدعوة إلى دينها الدعوة إلى سلطانها الدنيوى .

ولقد ساء الفتح العربى كثيراً من الأقطار المفتوحة ، ولا سيما فارس ، ولذلك سببه الذى لا بد لنا أن نكشف عنه .

كانت بلاد الشام وبلاد المغرب تحت سيطرة الروم ، فلم يكن من نتيجة الفتح العربى إياها إلا أنها استبدلت سلطان العرب بسلطان الروم ، ووجدت تحت الحكم العربى من العدل والرغد ما لم تجد تحت حكم الروم ، فاستكانت إلى العرب واطمأنت إلى حكمهم حتى فقدت قومياتها ولغاتها .

وكانت فارس قبل الفتح العربى بلاداً مستقلة ذات سيادة وحضارة ومملكة ، وكان لها سلطان حتى على العرب ، وكانت تحكم قبل الإسلام بلاد اليمن والبحرين والعراق حتى أن كسرى أبرويز حين تلى عليه كتاب النبى الذى يدعوه فيه إلى الإسلام ، غضب ومزق الكتاب وكتب إلى عامله على اليمن (بازان) بأمره بأن يأتيه برأس هذا الرجل الحجازى ؛ وكانت فارس تستعين بقبائل الحيرة فى حروبها مع الروم ، وتستعين بقبائل العرب على صد المعتدين على حدودها من الروم والأعراب ، وعلى خفارة القوافل أثناء مرورها فى البلاد العربية ، بل لقد استعان بهرام جور برؤساء قبائل الحيرة فى الجلوس على عرش فارس بعد أبيه يزدجرد برغم أنوف المعارضين له من الفرس ، ولقد كانت لفارس ثقافة وحضارة ، وفى اللغة العربية كثير من الكلمات الفارسية دخلتها قبل الإسلام ، وفى سيرة ابن هشام أن النضر بن الحارث كان يقول لأهل مكة : « يحدثكم محمد بأخبار عاد وثمود ، وأنا أحسن حديثاً منه : هلموا إلى أحدثكم بأخبار رستم واسفنديار والأكاسرة » وقد عرف العرب المجوسية (الديانة الفارسية القديمة) ويقال إن بعض بنى تميم قد اعتنقوها .

ولم يكن لسلطان فارس مثيل قبل الإسلام إلا سلطان الروم وقد وقعت بين الدولتين حروب كثيرة شهد ظهور الإسلام أواخرها ، ويقول المقريزى : « إن الفرس كانت من سعة الملك وعلو اليد على جميع الأمم وصولة الخطر فى أنفسها بحيث أنهم كانوا يسمون أنفسهم الأحرار والأسياد ، وكانوا يعدون سائر الناس عبيداً لهم ، فلما امتحنوا بزوال الدولة عنهم على أيدى العرب وكان العرب عند الفرس أقل الأمم خطراً ، تعاظمهم الأمر وتضاعفت لديهم المصيبة »

ما من شك فى أن الفرس كان لهم قبل الفتح العربى سلطان واستقلال ومملكة ، وأنهم كانت لهم سيادة على بعض البلاد العربية ، وأنهم كانوا يحتقرون العرب ، وأن بلادهم هى البلاد

الوحيدة التي كانت تتمتع باستقلالها ومملكتها وحضارتها عند الفتح العربي ، فلما فتحها العرب سلبوا استقلالها ومملكتها ونظمها ،ومن أجل ذلك تعاظمهم — كما يقول المقريزي — الأمر ، وتضاعفت لديهم المصيبة ، وأي مصيبة أعظم من فقدان استقلالهم على أيدي أمة كانت أقل الأمم خطراً عندهم . ومن أجل ذلك لقي العرب في إخضاع الأمة الفارسية من المشقات ما لم يلقوا في إخضاع غيرهم من الأمم (١) .

ولقد بقيت فارس تتطلع إلى الاستقلال تحت الحكم العربي من أول يوم دخلت فيه تحته ، وظلت موطن كفاح دائم بين الفريقين ، واستعان الفرس في مناضلة العرب بجميع قواهم : فاستعانوا بقوة الجيوش مراراً فما أفلحوا ، وظل العرب قابضين على نواصيهم لقوة عصبيتهم ضد عصبية الفرس ، وشجاعتهم أمام شجاعة الفرس ، فلما خانتهم قوة الجيوش حاولوا التمسك بلغتهم وحضارتهم ودياناتهم فخابوا بعض الخيبة وظفروا بعض الظفر : ذلك أن اللغة العربية غلبت على لغتهم لغناها ووجوب التعبد بها ، وغلب الإسلام دياناتهم بترك بعضهم دينهم خوفاً من البطش أو تزلفاً إلى الدولة الإسلامية أو إيماناً به ، ووهت ثقافة اللغة الفارسية كما وهت المجوسية ، وامتزجت الحضارتان ، وأناب كثير من العامة إلى الحكم العربي والدين الإسلامي الذي جاءهم به العرب واللغة العربية ، واختفت العصبية أول الأمر كثيرا ، ومما ساعد على اختفائها عندهم حسن سيرة الحكام في العهد الأول في الرعية وتنفيذهم أوامر الدين في معاملة المغلوبين بنصها وروحها ، فكان للمغلوبين ما للغالبين وعليهم ما عليهم فيما عدا الإدلاء ببعض المناصب ، ولكن العصبية لم تذهب — وإن اختفت — من رؤوس رؤسائهم وذراري ملوكهم بل بقيت متأججة يتناقلونها خلفاً عن سلف ، وقد بدأ ظهورها يزداد منذ انقسام العرب بعضهم على بعض في أثناء الدولة الأموية ، وظهور العصبيات الجزئية القبلية التي اجتهد النبي وخلفاؤه ونجحوا في إخفائها ، وظهور التفرقة في المعاملة بين العربي وغيره ممن دخل في الإسلام عند الخلفاء والولاة ، واحتقار العرب الموالي عامة .

وأول ما بدأ ظهور العصبية الفارسية في فارس ، ففيها ضعفت أول ما ضعفت العصبية العربية لظهور العصبيات القبلية ، وقلة العناصر العربية فيها لقلة العرب واندماجهم مع الفرس بالتزاوج والتناسل واستقرارهم فيهم وبعدهم عن مواطنهم التي خرجوا منها .

ولقد ظهرت حاجة العرب إلى الفرس بعد الفتح العربي بقليل ، فقد انصرف العرب إلى الفتح والجهاد ، فغفلوا عما سواه ، كما يقول ابن خلدون في مقدمته ، وانصرف الموالي من الفرس إلى الأدب واللغة والفقه والنحو فأسدوا إلى هذه النواحي أعظم الخدمات ، وكانوا فيها المبرزين دون العرب ، ومما يؤثر عن الخليفة سليمان بن عبد الملك (٩٦ — ٩٩ هـ) قوله : « ألا تتعجبون من هذه الأعاجم ! احتجنا إليهم في كل شيء حتى في تعلم لغاتنا منهم » وقوله : « العجب لهذه الأعاجم كان الملك فيهم فلم يحتاجوا إلينا ، فلما ولينا لم نستغن عنهم » .

ومما يحكى أن عربيا وفارسيا تناظرا بين يدي يحيى البرمكي ، فقال الفارسي للعربي : « ما احتجنا إليكم قط في عمل ولا تسمية ، ولقد ملكتم فما استغنيتم عنا في أعمالكم ولا لغتكم حتى إن طبيخكم وأشربتكم ودواوينكم على ماسمينا ما غيرتموه » .

(البقية في العدد القادم) **محمد خليفة التونسي**



(١) في خطاب الأستاذ عبد الرحمن بك عزام أمين الجامعة العربية الذي ألقاه في أول اجتماعات الجامعة منذ شهور تعليل آخر لهذا الاختلاف بين فارس وسائر البلاد التي فتحها المسلمون وما كان من سخط الفرس على العرب واستكانة غيرهم هذا التعليل هو أن بلاد فارس كان يسكنها فرس ، وسائر البلاد كانت فيها عناصر عربية هاجرت إليها من شبه الجزيرة قبل الاسلام بقرون ، فعنده أن سخط الفرس سببه اختلافهم عن العرب وأن رضا غيرهم سببه اتفاقهم مع العرب في العروبة ولم أدرسه .

سجون بغداد

زمن العباسيين

للأستاذ صلاح الدين المنجد

— ٥ —

ب — كسر السجون :

وكان يحدث كثيراً أن يكسر السجناء أو العامة السجن ويخرج مَن في السجون ، كلما غضبت العامة ، أو ثار الجيش ، أو قامت فتنة في البلد . وكثيراً ما نقرأ في الطبري « وفي هذه السنة كسر العامة السجن ... » فمن ذلك أنه لما خرج الراوندية على أبي جعفر المنصور ، ، وكانوا قوماً يقولون بتناسخ الأرواح ، وأن ربهم الذي يطعمهم ويسقيهم هو المنصور(١) ، أخذ أبو جعفر رؤساءهم فحبسهم . فأقبلوا يطوفون حول قصر الخلافة وقد غضبوا . وأعدوا نعشاً ، وحملوا السرير ، وليس في النعش أحد ، ثم مروا في المدينة حتى صاروا على باب السجن ، فرموا بالنعش ، وشدوا على الناس ، وكسروا باب السجن فدخلوا وأخرجوا أصحابهم(٢) .

ولما شغب الجند على الأمين نقب أهل السجون سجونهم وخرجوا منها فلم يجازهم أحد(٣) . وحاول أهل السجن أن يشغبوا زمن المأمون ، وأن ينقبوا السجن . فسدوا الباب من داخل ولم يدعوا أحداً يدخل عليهم ، وأخذوا في نَقْب السجن . فلما كان الليل ، وعلا شغبهم وصوتهم ذهب المأمون ، فدعا بنفر من الشُطّار وأصحاب الشغب في السجن ، فضربت أعناقهم ، وصُلبوا على الجسر(٤) .

وفي زمن المستعين سنة ٢٤٩ اجتمع العامة في بغداد بالصراخ والنداء بالنفير ، وانضمت إليها الشاكريه ، ففتحوا سجن نصر ابن مالك ، وأخرجوا من كان فيه . وانتهب ديوان قصص المحبسين ، وقطعت الدفاتر وألقيت في الماء(١) .

وفي زمن المهتدي (٢٥٥) اجتمع جماعة من الجند والشاكرية ومعهم جماعة من العامة ، حتى صاروا إلى سجن باب الشام ، فكسروا بابه في الليلة الثالثة عشرة من رمضان ، وأطلقوا أكثر من كان فيه . ولم يبق من أصحاب الجرائم إلاّ الضعيف والمريض والمثقل(٢) .

وفي زمن المعتمد سنة (٢٧٣) نقب المطبق من داخله وفر بعض المسجونين(٣) .

وقبيل وفاة الموفق سنة ٢٧٨ قامت العامة فانتهبت دار إسماعيل ابن بلبل ، وفتحت الجسور وأبواب السجون ، ولم يبق أحد في المطبق ولا في الجديد إلا أخرج(٤) .

وفي سنة ٣٠٦ شغب أهل السجن الجديد ، وصعدوا السور فركب نزار بن محمد صاحب الشرطة وحاربهم وقتل منهم واحداً ورمى برأسه إليهم فسكنوا(٥) .

ويذكر الخطيب البغدادي أنه في سنة ٣٠٧ كسرت العامة الحبوس في مدينة المنصور ، فأفلت من كان فيها . وكانت الأبواب الحديد التي للمدينة باقية فغلقت وتتبع أصحاب الشرط من أفلت من الحبوس فأخذوا جميعاً حتى لم يفتهم منهم أحد(٦) .

وفي زمن المقتدر سنة ٣٠٨ غلت الأسعار ببغداد ، وشغب العامة ، ووقع النهب ، وركب الجند فيها ، وشتتهم العامة ، وأحرقت الحبس وفتحت السجون(٧) .

ولعلك لاحظت أن كسر السجون كان نتيجة الشغب والفتن وعصيان الجند ، وغلاء الأسعار ، واضطراب العامة . وهذه أمور كانت مما امتاز به العصر العباسي الثاني . وقد كان للأتراك الشأن الكبير فيها . ولن نورد كل ما ذكره المؤرخون فحسبنا ما ذكرنا .

(١) الفخري في الآداب السلطانية ص ١٨٨ .
(٢) الطبري حوادث سنة ١٤١ ج ١٠ ص ١٣٠ .
(٣) الطبري حوادث سنة ١٩٦ ج ١١ ص ٨٦٧ .
(٤) تاريخ بغداد لابن طيفور ص ١٧٨ .

(١) الطبري حوادث سنة ٢٤٩ ج ١٢ ص ١٥١٠
(٢) الطبري حوادث سنة ٢٥٥ ج ١٢ ص ١٧٢٨
(٣) الطبري حوادث سنة ٢٧٢ ج ١٣ ص ٢١٠٩
(٤) مروج الذهب ٢ — ٦٠٤
(٥) المنتظم لابن الجوزي ٦ — ١٤٦
(٦) تاريخ بغداد ١ — ٧٥ ، ولسترانج ص ٤٨
(٧) تاريخ الخلفاء للسيوطي ص ١٥٣

٣ — موت الخليفة :

وكانوا يطلقون السجناء لموت الخليفة أو عزل الوزير : حدَّث التنوخي عن أحمد بن المدبر قال : « لما سجنت مع أحمد بن إسرائيل ، وسليمان بن وهب معاً ، قال لي سليمان ذات يوم : رأيتُ البارحة في نومي كأن قائلا يقول لي : « يموت الواثق إلى ثلاثين ليلة . فلما كان يوم الثلاثين ، وكان الليل ، لم نشعر بالباب إلا وقد دُقّ دقاً شديداً ، وصاح بنا صائح : البشرى ، قد مات الواثق فاخرجوا[1] » .

وربما أطلق الخليفة الجديد المسجونين زمن الخليفة السابق كما فعل المهدى . فقد أمر بإطلاق من كان في سجن المنصور . إلا من كان قبله تباعة من دم أو قتل ، أو معروفاً بالسعي في الأرض بالفساد . فأطلقوا من في المطبق[2] .

وأطلق المقتدر أهل المحبوس الذين يجوز إطلاقهم ، وأمر محمد بن يوسف القاضي أن ينظر في ذلك[3] .

وذكر ابن الجوزى أن الراضي لما ولى الخلافة أمر بإطلاق من كان في حبس القاهر ، فأطلقوا جميعاً[4] .

وربما يطلقون لعزل الوزير أو موته . حدَّث محمد بن الحسن الكاتب صاحب الجيش قال : « قبض محمد بن القاسم بن عبيد الله ابن سليمان بن وهب ، في وزارته للقاهر على أبي وعليّ معاً . فحبسنا في حجرة من دار ضيقة ، وأجلسنا على التراب ، وشدد علينا . فقال لنا الموكلون بنا ذات يوم : قد عزم الوزير على قتلكما الليلة ... فتغير حالي ، وقام أبي يدعو الله ويصلي ، فلما مضى ربع الليل سمعت الباب يدق ، فذهب عني أمري ، ولم أشك أنه القتل . وفتحت الأبواب ، فدخل قوم بشموع ، فتأملت فإذا فيهم سابور خادم القاهر . فقال أين أبو طاهر ؟ فقام أبيّ وقال ها أنذاك فقال : أين ولدُك ؟ قال : هو ذا . فقال انصرفا إلى منزلكما . وإذا هو قد قبض على الوزير محمد بن القاسم ، وأحدره إلى دار القاهر ، وانصرفنا . وعاش محمد في الإعتقال ثلاثة أيام ومات[5] .

(١) الفرج بعد الشدة ج ١ ص ١٤٩
(٢) الطبرى ، حوادث سنة ١٥٩ ج ١٠ ص ٤٦١
(٣) المنتظم لابن الجوزى ج ٦ ص ١٩
(٤) المصدر السابق ج ٦ ص ٢٦٦
(٥) الفرج بعد الشدة ج ١ ص ٥٢ـ٥٣

٤ — العفو :

وقد يطلق المسجون بعفو من الخليفة . مثال ذلك ما حكاه المسعودى ، قال : ذكر عبدالله بن مالك الخزاعي ، وكان صاحب شرطة الرشيد قال : أتاني رسول الرشيد في الليل . فارتعت .. فلما مثلت بين يديه ، قال : إني رأيت الساعة في منامي كأن حبشياً قد أتاني ومعه حربة ، فقال إن لم تُخلِّ عن موسى بن جعفر الساعة وإلا نحرتك بهذه الحربة فاذهب فخلِّ عنه ، قال فمضيت إلى الحبس وأطلقته[1] .

ومن الطرافة أن تقرأ هذه المنامات ، وترى كيف يطلق السجناء بعدها . وقد سرد قسما كبيراً منها التنوخي في الفرج الشدة[2] .

٥ — الاحتيال :

وقد يحتال المسجون بحيلة لينجو . ذكر ابن طيفور أن طاهر بن الحسين كان يتعشق بخراسان جارية من جيرانه يقال لها « ديذا » وكانت توصف بجمال عجيب ، وكان يختلف إليها . ولما صار إلى مدينة السلام ، وقع في سجنه جار لديذا بجرم خفيف ، وطال حبسه ، ولم يعرف أحداً يشفع فيه ، فاحتال لرقعة لطيفة ، أرسلها إلى طاهر ، وتوسل إليه بجوار ديذا فلما قرأها كتب في ظهرها :

ويا جار ديذا لا تخف سجن طاهر
فوالله لو تدرى عليك شفيق
أيا جار ديذا أنت في سجن طاهر
وأنتَ لديذا فاعلمن طليق[3]

ولما سجن عزّ الدولة ، إبراهيم بن هلال الصابىء ؛ احتال هذا على الخروج بأن ألف له مصنفاً في أخبار آل بويه وهو التاجي ، فخرج[4] .

(يتبع) صلاح الدين المنجد

(١) مروج الذهب ج ٢ ص ٢٦٩
(٢) انظر الفرج بعد الشدة . ج ١ ص ١٤٠ ، ١٦٢ ، ١٤٣ ، ١٤٤ ...
(٣) تاريخ بغداد لابن طيفور ص ١١٨ ، وأنظر حادثة أخرى فيه ص ٢٥ .
(٤) تاريخ الحكماء للقفطي ص ٧٦ .

يا نسيم الخريف

للأستاذ أحمد أحمد العجمى

يا نسيم الخريف أحييت آما   لى بريّاك يا نسيم الخريف
لك فى كل خطرة نفحات   من حنان الحانى وعطف الأليف
ولدى كل مهجة ذكريات   تجتليها الأحلام مثل الطيوف
أنت حققتهـا نجوماً وضاء   فى ظلام النسيان ذات رفيف
يا نسيما تهلل الأيك نشوا   ن طروباً يشدو له بالحفيف
وجرى النهر راقصاً يتهادى   صافحته يد النسيم اللطيف
يده تملأ الفضاء أريجاً   عبهرى الشذا كمسك مدوف
يا لذاك النسيم طلقاً عليلا   سار فى حيرة القوى الضعيف
فى سهول فيح وواد فسيح   ومروج خضر وريف وزيف
داعب الدوح باحتناق الأمالي   دوشمر الصفصاف بالتصفيف
وخدود الورود بالقبل الريّا   من الشوق والغرام العفيف
وقدود النخيل جشها ، يحـ   ـسب أن النخيل أعطاف هيف
عجباً يا نسيم ما زلت تسعى   حدباً حانياً كقلب عطوف
كم تفانيت فى التلطف حتى   قد وصلت المشتى بلطف المصيف
ووصلت الشتاء بالصيف والوحـ   ـشة بالأنس والربا بالكهوف
وجعلت الضحى أصيلا وحر الـ   ـقيظ برد المساء بالتلطيف
وبلغت الشطوط وهنان فاستلـ   ـقيت تغفى يميناً على كل سيف
ثم دوّيت فى الفضاء دوى الر   عد فى ثورة القوى العنيف
بارداً تجمد الحرارة فيـه   وهو ماض ببرده كالسيوف
نتمناه فى الهجير ونخشا   ه شتاء متى أتى كالحتوف
يا نسيم الخريف طابت ليالـ   ـك لقلبى طيب الجنى والقطوف
وليالى الخريف أنشودة الشا   دى وعيد المنى وحلم الريف
هى فى الخفة الطليقة برد   وسلام من الجمال الشفيف
كم غمام يختال فيهـا خفيفاً   فإذا اربد لم يكن بخفيف
وسحاب كالبحر أسبح فيه   بخيـال يجد فى التجديف
ونجوم تجلو الدجى لتراها   ولتصغى لهمسها المألوف
ولشدو الطنبور أدركه الأيـ   ـن فأصغى لأنه الشادوف
عجباً للطبيعة الحسن فيها   سور بالألوف بعد الألوف
كم لها من مناظر وشكول   وصنوف تجد إثر صنوف
هى حيناً تلوح فى نزق الفر   وحيناً فى حكمة الفيلسوف
وإذا ما تبرجت فكم استجـ   ـليت دلالا بوجهها المكشوف
كل ما فى الطبيعة المثل الأعـ   ـلى لنفس تحيا بحس رهيف
وأراها بمقلة الشاعر الشا   دى وقلب المتيم المشغوف
من يكن يعبد المحاسن طراً   فبحسبى هذا الجمال الريفى

يا شعب صهيون

[تحدى المؤتمر الصهيونى العام
العرب فى بيانه الصادر من القدس]

للأستاذ حسن أحمد باكثير

يا شعب صهيون! لا تبطركم النعم   ولا نفوذ لكم تعنو له أمم
ولا يغرنكم مال لكم لبد   فالدهر يمهل حيناً ثم ينتقم
دعوا فلسطين وانأوا عن عرائنها   ففى عرائنها الآساد والبهم
إن صودقوا صدقوا أو سوبقوا سبقوا
أو هوجموا هجموا أو صودموا صدموا
لا تحسبوا أنها تغدو لكم وطناً
إذا ارتضت طغمة فى الغرب أو طغم
مصيرها فى يدى أصحابها فسدًى   ما ترجفون وما شدتم سينهدم
إن كان فى يدكم مال ففى دمنا   بأس ورثناه عن آبائنا حطم
بأس جرى فى دم الأجداد مضطرماً
ولم يزل فى دم الأحفاد يضطرم
إنى لألمح خلف الأفق عاصفة   عرباء لا تنقضى حتى يراق دم
وفتنة تتلظى فى جوانبها   حمر المنايا وتستشرى وتحتدم
أعيذكم أن تثيروها بباطلكم   فتندموا حين لا يجديكم الندم



البحترى وإسماعيل صدقى باشا ، رؤية المكان البعيد :

١ — رُوى لى أن الأستاذ اسماعيل صدقى باشا لما قابل (سعداً العظيم) بعد تلك الصدعات قال له : يا سعد كلما سعينا فى هدمك بناك الله . والبحترى (أحد الثلاثة) يقول :

كم حاسد لأبى العباس مشتغل   بنعمة فى أبى العباس تشجيه
يروم وضعاً له والله يرفعه   ويبتغى هدمه والله يبنيه

فإن كان الأستاذ اسماعيل صدقى باشا قرأ ديوان (الوليد) فإنه للمفتش المطلع ، وإن كان القول من عنده فلوذعيته هى معطيته . وقد سمعت شاعرنا الأستاذ محمد عبد الغنى حسن يذكر (صدقياً) بخير .

٢ — جاء فى إحدى المقالات التى تنشرها (الرسالة الغراء) فى عنوان (إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب) :

« قال الأديب الكبير الأستاذ شفيق جبرى : (من بالعراق يراك فى طرسوسا) هذا (شهود البعيد) الذى ابتدعه هؤلاء العفاريت فى هذا الزمان » .

وقد وجدت خبرا فى (طبقات الشافعية الكبرى) للعلامة عبد الوهاب السبكى فى (رؤية المكان البعيد) فرأيت روايته ، قال :

« التاسع عشر[(١)] رؤية المكان البعيد من وراء الحجب كما قيل : إن الشيخ أبا اسحاق الشيرازى كان يشاهد الكعبة وهو ببغداد » .

السهمى

إلى صاحب العزة الأمين العام لجامعة الدول العربية :

من أخبار بغداد الأخيرة نبأ مؤداه أن مجلس الوزراء العراقى قرر منع طلبة البعثات العلمية العراقية من الزواج بالأجنبيات مدة دراستهم . .

ولما كان القرار بالشكل الذى نشر به فى الصحف مطلقاً غير مقيد فهو يذكر الأجنبيات دون تحديد أو تخصيص

ولما كان كثير من طلبة البعثات العلمية العراقية يدرسون فى البلاد العربية الشقيقة وخاصة مصر — فقد اختلفت الآراء فى تفسير المقصود من هذا القرار وبيان مدى تطبيقه . .

ومهما يكن من أمر فلا شك فى أن من سياسة جامعة الدول العربية تقوية الصلات وتنمية الروابط بين البلاد العربية بكافة الطرق والوسائل . كما لا نشك فى أن تزاوج الأفراد من مختلف البلاد العربية هو من أنجح الطرق فى تحقيق الوحدة القومية بين هذه البلاد إذ بالتزاوج والتصاهر تقوم علاقات لا يمكن أن تنفصم بين الأفراد والعائلات وتكون هذه العلاقات الشخصية الفردية أقوى دعامة للعلاقات العامة القومية فى بناء الوحدة العربية المنشودة . .

فإذا نظرنا على ضوء ما تقدم إلى قرار مجلس الوزراء العراقى يكون شمول لفظ « الأجنبيات » لغير العراقيات عموما بما فيهن المنتميات إلى دول أعضاء فى الجامعة العربية موضوع نقد معقول لما فيه من تفويت للمصالح المشار إليها ومن تسوية بين رعايا الدول العربية ورعايا سائر الدول الأجنبية وهى تسوية يأباها روح ميثاق الجامعة العربية . بل ويأباه نصه الذى تناول مسألة الجنسية فيما تناوله من الأمور التى تهدف الجامعة إلى توحيدها بين الدول الأعضاء وقد خصصت لها فعلا لجنة من لجان الجامعة .

لهذا أتشرف بأن أقترح على عزتكم أن تقوم الأمانة العامة لجامعة الدول العربية بمباحثة الحكومة العراقية فى إصدار تفسير للقرار سالف الذكر يتحدد به المقصود بلفظ « الأجنبيات » بما يخرج من مدلوله المنتميات لدولة من الدول الأعضاء فى مجلس الجامعة مراعاة لكل ما سلفت الإشارة إليه من الاعتبارات . . وإنى لعظيم الأمل فى أن تنال هذه المسأله التى لا تنقصها الأهمية حسن الإلتفات والاهتمام وذلك لما نعهده فى عزتكم بصرف النظر عن مهام منصبكم السامى من إخلاص صادق لقضية العروبة واهتمام دائم بكل ما يخدمها من قريب أو بعيد .

محمد عبد الجليل

رئيس رابطة العروبة بجامعة فاروق

(١) النوع التاسع عشر من الكرامات .

رأى فى الشرط الرابع فى عضو هيئة كبار العلماء :

يدور الآن بمناسبة تعيين شيخ للأزهر خلاف كبير فى الشرط الرابع فيمن ينتخب ضمن هيئة كبار العلماء ، وهو أن يكون قد اشتغل بالتدريس فى إحدى الكليات ، أو شغل إحدى وظائف الإفتاء أو القضاء الشرعى من درجة رئيس محكمة الخ الخ .

ففريق كبير من علماء الأزهر يرى أن المراد بالكليات التى يجب أن يكون قد اشتغل بالتدريس فى إحداها الكليات الأزهرية الثلاث : (كلية اللغة العربية ، وكلية الشريعة ، وكلية أصول الدين) لا غيرها من الكليات الأخرى .

وقد أفتت لجنة الفتاوى بوزارة العدل أنه يدخل فى الكليات الواردة فى هذا الشرط غير الكليات الأزهرية من الكليات ، مثل كلية الآداب ، وكلية الحقوق .

وإنى أرى أن هاتين الكليتين لايمكن دخولها فى الكليات الواردة فى هذا الشرط بطريق النص كما أفتت هذه اللجنة ، وإنما يمكن دخولها فيها بطريق القياس للشبه بينهما وبين كلية اللغة العربية وكلية الشريعة ، فإذا اشتغل بالتدريس فيهما بعض علماء الأزهر ، جاز انتخابه عضواً فى هذه الهيئة ، وإنكار هذا القياس لا يصح بعد أن جاء الإسلام باعتبار القياس ، ولم ينكره إلا من لا يعبأ به من فرق الإسلام ، وهذا الشرط لايقصد منه إلا إخراج مدرسى المعاهد الابتدائية والثانوية

وقد صار للأزهر أبناء لا يحصون يشتغلون بالتدريس فى غير المعاهد الدينية والكليات الأزهرية ، فلا يصح أن يحرموا من منصب شيخ الأزهر ؟

عبد المتعال الصعيدى

البعث :

قرأت أخيراً ديوان البعث للأستاذ الشاعر ابن محمود فوجدت فى الديوان رقة عذبة تنساب فى القصيدة التى أهداها إلى الآنسة أم كلثوم كما تظهر واضحة فى قصيدة « الإنطلاق » حيث يقول :

رب يوم أبصرتك العين فى الجو طليقا
تنشد الألحان ألوانا ، وفى الحب غريقا
ناعم البال بإلف عزفى الأيك رفيقا
وهفت نفسى إلى عيشك فى شوق وحزن
أى عيش كان حلواً حينما كنت تغنى
غن لى ياطير غن ، أى لحن أى لحن

ترى معى أن الشاعر قد رق هذه الأبيات إلى درجة لا تملك معها إلا الإهتزاز والشوق إلى سماع هذا الطائر المغنى .

وكم سرنى أن وجدت الشاعر يبتسم للحياة ابتسامة نفتقدها على شفاه أغلب الشعراء فلا نجدها ، سرنى هذا وظلت به مسروراً إلى أن صادفته يتجهم للحياة مرة أخرى ويبرم بها فيقول : —

أنكر الناس حينما أنكروه فنأى عنهم بشتى المراحل
يا لقومى كم نابغ عبقرى فى حمى النيل ذكره اليوم خامل

أجل نجده يتابع الشعراء فى هذا المضمار ، وحبذا لو سلك الطريق المشرق الآخر . وعلام التجهم والحياة كلها لا تساوى هم ساعة ... ابتسم ياسيدى فستبتسم هى لك وتلفتك إلى أفراحها .

وأعجبنى الشاعر أيضاً حينما تناول ناحية القصص وعالجها ، الشىء الذى لا نكاد نجده فى شعرنا ، وهو بهذا أجرى الشعر فى مضمار المجتمع خاصة فى قصيدته « عقبى الجهل » .

ولكن يظهر أن القافية كانت تتعب الأستاذ الشاعر بعض الشىء ويبدو هذا فى قوله :

يسطع البدر بينها كمنار باهر الضوء بالسنى مستطار

وقوله فى قصيدة أخرى :

وعلى الدنيا وما أبهجها عالماً يبهر أرباب العقول

ترى معى أن القافية مجهدة « فستطار » كلمة أتى بها للوزن فحسب ، « وأرباب العقول » كلتان نسمعهما فى السوق ولا نقرأهما فى الشعر .

وكنت حينما تطول القصيدة ألمس الضعف فى الأبيات الأخيرة مع أن القصيدة قد تبتدىء قوية ثم تتدرج فى الضعف حتى تصل إلى آخرها فترى البون قد بعد بين مطلع القصيدة وختامها ولو أنها بترت لأصبحت كاملة معنى وليس بها ما يشوب ، ويبدو هذا المأخذ واضحاً فى قصيدته « فى الزفاف الملكى » .

ولا بد للمتكلم عن هذا الديوان أن يذكر ما به من روح متوثبة قد تقعد بها فى بعض الأحيان وعورة اللفظ والقافية .

وأعتقد أن كل هذه المآخذ سهلة الاستدراك لو تفضل الأستاذ الشاعر وأولاها شيئاً من التفاته .

ثروت أباظة

الكتب

هتاف الجماهير

للأستاذ عبد الحفيظ نصار

(هتاف الجماهير) للأستاذ أمين يوسف غراب ، ومجموعته تشتمل على خمسة عشر قصة لن يتسع لى المجال للتعرض لها كلها ، وأعتقد أن مجموعته فى الطليعة عند ما يصح أن نختار قصصاً نضمها بكل فخر جنباً إلى جنب مع القصص الأجنبية القوية ؛ كما أنها تتسم جميعاً بأسلوب بارع الوصف ، كما أن الكاتب متأنق فى اختياره لألفاظه أناقة محببة غير متكلفة ، ويأخذك من تعبيراته عطر قوى نفاذ . . لعله عطر المرأة التى تأخذ دوراً هاماً فى أكثر قصصه .

وإليك قصة (طريق الدنس) وهى قصة امرأة ناضرة ناضجة شغل عنها زوجها بسهراته خارجا — فماذا قالت لنفسها وماذا قالت المرآة لها فى خلوتها ... فكرة بسيطة فى حوادثها . ولكنى أؤكد أنها فى تحليلها لعواطف المرأة لا تقل عما يكتبه مارسيل بريفو ، وفى قوة وصفها تقف بكل فخار بجوار قصص موباسان . ليس فى القصة حوادث أو حركة كبيرة بل تعتمد على (الحركة النفسية) التى هى موضوع القصة . وذلك شأن القصص الروسية الخالدة التى نعتبرها مثالا فى القصص العالمية .

كذلك قصة (الأستاذه) وهى محامية كبتت عواطفها الحارة كامرأة ، وتجاهلت نضج ثمارها كشجرة يانعة ، فأخفت تلك العواطف وتلك الثمار ، تحت رداء المحاماة القاتم ، وتكلفت الجد الذى هو بعيد كل البعد عن طبيعتها المشرقة ومضت فى الحياة عاملة كرجل ... ولكن إلى متى يمكنها أن تمضى متجاهلة النداء ؟

وأما قصة (البلبل والحمامات السبع) فتصور حياة سبع مدرسات فى مدرسة إقليمية شاءت مديرتها أن تجعل منها ديرا منعزلا عن الحياة والأحياء — وعلى الأخص ذلك الجنس الآخر مصدر الشر وهو الرجال — فيعشن فى سلام معيشة الراهبات .

وليست العبرة عند الكاتب فى حوادث القصة . ولكنه يعالج فكرة قد تظهر بساطتها عند تلخيصها . ولكنك ترى عمقها فى تحليله وروعتها فى عرضه . كما أنه يرتفع فى وصفه فى هذه القصة إلى درجة عالية من البيان ، وقد وصف لنا الرئيسة محللا نفسيتها بأنها امرأة حلت الأيام مشا كلها مع الزمن على حسابها ، خلقة مشوهة دميمة وصوت أجش بغيض وعينان ضيقتان أكل الحقد أهدابهما ولم يبق منهما سوى نظرات نارية حادة لا تكاد تعكس مرئيات الأشياء على عينيها أبدا وإنما تعكس صفحة وجهها المشوه على خاطرها فتراه دائما وتراه مقترنا بسلسلة تلك المصائب التى جرها عليها هذا القبح طيلة الأربعين سنة التى قضتها فى دنياها الشقية ..) فهى لا تكاد تطيق رؤية الفتيات السبع يخطرن أمامها فى مرح وسعادة ملء إهابهن الحب والأمل ، ومن ذلك يفسر لك قسوتها عليهن وتزمتها فى معاملتهن وأخذهن بالتقشف الشديد المر حتى نسين الشباب والابتسام .

وأما (البلبل ...) فهو ذلك العامل الذى تضطر المدرسة الضرورة لاستدعائه من المدينة لبعض الاصلاحات لبضع ساعات ثم تحتال الحمامات على إطالتها إلى ليلة ... وقد تيقظ الفتيات كما تتفتح الزهرات لأنداء الربيع ، حتى تلك الزهرة الذابلة .. الناظرة . وإنى لأحس بأنى أظلم القصة عندما أحاول أن أعطى منها صورة فلا أستطرد فى ذكر ما كان . ولكن أحب أن أقول إنها ذكرتنى بقصة (ستة وعشرون رجلا وامرأة ...) لمكسيم جوركى . والبلبل هنا امرأة ، وعند قصاصنا فتى ، ولكنها لا تشبهها فى شىء من الحوادث أو طريق المعالجة ولكن فى بعض الخطوط الرئيسية فى الفكرة النفسية وهى شىء يتشابه فيه البشر فى كل مكان .

ولكن يختلف الكتاب فى تصوره . وله إلى هذا بعض قصص اجتماعية يصف فيها الريف بصميم تقاليده وعميق إحساس أفراده إلى بساطة وسذاجة هما طبائع أهله ، وقد دل على معرفة ودراسة لأحوال الريف قلما تجدها صادقة فى غير تكلف كما تجدها فى قصص الأستاذ أمين . ومن هذه القصص (الفطائر الثلاث) . ومن أمتع قصصه (مفاتيح الأقفال) وإنه لعنوان رمزى لما استغلق من المرأة ، وما المفاتيح إلا الأنسان الذى جعلها تلبى نداءه فى أحضان الشيطان . وإنها لمأساة قد يخيل إليك أن الكاتب يصورها بألوان زاهية فاضحة . ولكنه فنان يعرف كيف يتصرف فى هدوء حتى بالألوان الحمراء ....

وقصة (هتاف الجماهير) ليست هى القصة الأولى فى المجموعة

كما اعتاد بعض كتابنا فى تسميتهم المجموعة بأعظم قصة فيها ؛ بل هناك قصص أخرى تعلوها . وهى مع هـــذا ذات نزعة رومانسية عنيفة وتجمع إلى هذا جانب التهكم اللاذع وعلى الأخص فى الخاتمة ، والخاتمة عند أمين كأبسط وأروع ما يمكن أن تكون التفاتة بسيطة ذات دلالة عميقة تكفى عنده لأن تكون عقدة القصة . وقصة (طريق الدنس) التى عرضنا لها تعتبر مثالا عاليا لذلك . وتوجـــد عنده عدة قصص يصور فيها شخصية (البروجوازى) كما يسميه الاشترا كيون ، أذكر له قصة اتفق لى أن قرأتها له فى إحدى المجلات ولا أدرى لماذا لم يضمها إلى هذه المجموعة وهى (الحلوى المسمومة) فقد صور فيها مدى استغلال البروجوازى لمياله . وقد تعدى ذلك لأعراضهم، وله فى تصوير هذه الشخصية فى هذه المجموعة قصة (صفقة رابحة) و (السيد) وإنه ليعطينا صورة لا تقل عظمة عن تمثيلية (السيد) لموليير وإن كان هذا نموذج للسيد المصرى وفرق كبير بين السيدين . أقلهما البيئة وعواملها مع المزاج والثقافة . كما يوجد فرق كبير بين الكاتبين فى طريق المعالجة .

ويصدر الأستاذ أمين مجموعته بقصة (أفراح السماء) ، وهى قصة إنسانية عالية تصف الطفولة وتشردها . قصة طفلة تتضور جوعا باحثة عن لقمة ، تهديها حاستها أو معدتها إلى بائع طعمية تقف أمام دكانه تستنشق رائحتها المحببة ، ولا تسل عن خواطرها حينئذ، ولا عن تصوير الكاتب لها، ولكنها أخيراً تتشجع وتطلب منه واحدة ؛ فإذا بصاحب المحل الرجل الضخم يجيبها بصفعة هائلة فلم تولول ولم تتألم طويلا فقد تعودت مثل ذلك وكان أن جففت دموعها ، ولملمت أسمالها ، وابتعدت عنه قليلا حيث واراها الظلام ، وحيث أسندت رأسها المثقل جالسة على الرصيف بعد أن اطمأنت على مكان كوز أعقاب السجاير بين ركبتيها . وابتدأت قصة حـــلم رائع إذ تقدم منها شاب وسيم شكت إليه جوعها فحملها إلى أحد القصور التى يعلو وصفها على قصور ألف ليلة وليلة ، وكان أن رأت هناك استقبالا واحتفاء، ومأكلا ونعيما وسعادة بجوار ذلك الشاب الوسيم ما كانت لتحلم به أو لتفكر فيه يوما فتتمتم شاكرة له: إنك لملك كريم . وبعد فراغها من حلمها اللذيذ يكون قد جاء الصباح وعاد صاحب محل الطعمية جلادها بالأمس إلى محله ؛ فيجد هذه قريبة منه فتأخذه بها شفقة بعد أن تذكر ما كان منه بالأمس ؛ فيحركها موقظا لها فإذا بها جثة هامدة ! !

ترفرف روحها فى السماء . وهذه القصة تذكرنى بقصة (بائعة الثقاب) لهانس أندرسون الكاتب النمساوى ، وهى أيضا حلم طفلة تضورت طوال يومها جوعا فى البرد وفى ليلة عيد الميلاد ومع ذلك لم تبع شيئا من أعواد الثقاب التى تحملها فخافت أن تعود إلى أبويها ؛ فجلست بجوار جدار وجعلت تستنشق رائحة الأوزة التى تشوى خلف جدار ذلك المنزل وتركت خيالها يدور حول ما فيه من طعام ، وأخذت وطأة البرد فجعلت تدفىء أطرافها بإشعال أعواد الثقاب ، وعلى ضوئه ابتدأت قصة حلمها فقد رأت جدتها الميتة التى كانت تحنو عليها وتحبها كل الحب وصارت تستنجد الجدة أن تأخذها عندها وأخيرا تستجيب لتوسلاتها . وفى الصباح ترى طفلة ميتة مرتكنة على جدار منزل ، وما برح شفتيها ابتسامة الرضى ؛ فقد كانت تنعم هناك قرب جدتها ، ومع تقارب الفكرة فى القصتين فلكل منهما طريقته وأسلوبه ولعل قصة أمين لا تقل روعة عن قصة هانس أندرسون

ولعل كاتبنا أبعد الكتاب تأثرا بالصور التى يأخذها للحياة عن طريق الثقافة بل يلجأ إلى الحياة نفسها ويتمتع بمشاعره بين شخصياتها إذ للكاتب معالجاته الكثيرة فى الحياة وصوره التى لا تنفد من فصولها ونماذجها الإنسانية التى تحس بحرارة حياتها ولفحات أنفاسها . . بل تحس بأجوائه الشعرية العاطرة كأنك تعيش فيها .

بقى أن أقول إن مجموعته جديرة بأن يحتفل بها قراء العربية وأن كاتبها جدير بأن يحتفل به نقاد الأدب والقصة إذ فى إنتاجه دليل على حيوية فى القصاص المصرى ، وأمل كبير فى أن تزاحم قصصنا الإنتاج القصصى العالمى . وما أحسبنى مغاليا فيما أقول .

(دمنهور) **عبد الحفيظ نصار**



أهذه قصة ! ؟ . . .

سبيلك الجديد

للأديب عزيز الحاج

وأخيراً ... مزقتها ثائراً ، ثم محوتها محواً بعود ثقاب ...

***

« مسكين أنت ! لا تعرف من الحب غير اسمه الساحر الخلاب ، تتوهم أنك فائز بأطايب الحب جميعاً وأنت محروم منها ، محروم . وكيف ترضى أن تكتفي من حبيبتك ببسمتها الوضاءة ، ونظرتها الجنون ، دون أن تهفو إلى ما وراء ذلك من المتع العذاب ! ؟

« لا ، يا صاحبنا ، لا ! أضرم ثغرها بالقبلات الملتهبات ، وضمها إليك ضماً يهدهد حواسك العطاش ، وانظر إليها نظرتك إلى أنثى ناضجة ، فاتنة ، لا نظرتك إلى ملاك من نور » .

ويصغي صاحبنا إلى أحاديثهم منكراً لها ، محدقاً بها ، حانقاً عليها ؛ ولكنه يضمر إنكاره ، ويخفي تحديقه ، ويكبت حنقه ، فيظنون أنه مقتنع ، راض ، ويتوهمون أنه سيلبي قريباً نداءاتهم المغريات ...

***

ويرحل الحبيب ، ويتصدع منه الفؤاد ، ولكن الرجاء يروح عنه . فهو يعرف أن الفراق لن يدوم ، وأن القطار الذي مضى بالتي يهوى سيرجع بها بعد أربعة شهور . فالنأي المروع ، إذن ، لا يبطن اليأس الدامس ، القتال ، وإن كان — مع ذاك — يوجعه ، ويبريه ، ويذيقه اللوعة المرة ، والهم الزعاف ...

ويجد أولئك « الأصدقاء » — وقد ظل وحيداً — مجالا أفسح ليرددوا نغمات « الوعظ » و « الإرشاد » ، ناسين في ذلك دون أن يضجروا ، أو يملوا ، أو يضيفوا سدوراً بثباته العجيب وإخلاصه المكين .

« اهتد ، اهتد ، يا صاح . فما ذا تجنى من هذا الوفاء الصوفي غير الأشواك والسموم ! ؟ »

على أنه هو الآخر مصر على الوفاء ، منطلق في الاسترسال مع هواتف الحب ، واستحضار صورة الحبيب ...

***

ولكنه إنسان ! وإنسان يتعذب ويئن وينوح . فهو غير غني عن السلوى والعزاء ، إن قلبه المصدوع سيودي به حتماً إن لم يلتمس ألواناً من اللهو تذهله عن هواه ولو لحين . إن الوحشة السوداء تغلف لياليه والأيام ، وإن اللقاء الموعود لن يتم إلا بعد أسابيع طوال مضنيات ، فما أحوجه إلى العزاء — أي عزاء !

إنه لا يدرك كل ذاك ، وقد ينكره إن يجابه به ، ولكنه هو هو ما تهتف به نوازعه الخفية المبهمة ، وهو هو ما أخذ يهيمن شيئاً فشيئاً على خوالجه الباطنة العميقة ، وهو هو الذي مهد سبيل « المأساة » ...

***

أجل ! لقد ضللت ، ضللت أسبوعاً كاملا ، ما كنت أصغي فيه لغير نداء الجسد الحقير .

أبعدت الروح ، فقلت للشهوات الراقدات : « هبي ! هبي ! » ؛ وخاطبت المتع الترابية مردداً : « ضميني إليك ، عانقيني ... هكذا ! » ؛ ونصحت الجسد الظمآن قائلا : « اغرف من الينبوع ما طاوعتك قواك ، واحتس من الأباريق جهد المستطاع فمن يدري ! لعل صاحبك يشمئز يوماً ما من هذه الحال ، فيرتد عن ضلاله المبين ، ويهتدي إلى الحظيرة من جديد »

***

سعال عنيف ، يتصاعد من صدر منهار ، وعلى الفراش ثمة إنسان شاحب ، هزيل ، أضناه السقام ، وشفه التبكيت ، فيا للمريض !

إنه ليزيد نفسه تعذيباً بقراءة اليوميات « العذرية » ، التي كان يخطها بدمعه الثر ، ودمه الغزير ، قبل فترة « الضلال » .

إن قراءتها تجسم له خطيئته ، وتكبر زلته ، وتوحى إليه أنه دنىء دنىء ، فهو يتساءل متعجباً آسفاً ثائراً : « أأنا الذى فعلت ما فعلت ؟ ! أأنا — أنا الذى ما كنت أصبو إلا إلى السمو والتحليق — أمرغ نفسى فى التراب المشوب والطين المهين ؟ !

« ويل لى ! ويل لى ! ويل لى من نفسى ! وويل لى من الحبيب الذى خنت ! وويل لى من الله ! »

أيها الجسد الظمآن : ألم أقل إن صاحبك قد يبصر بعد عماه ؟

* * *

... وهكذا مزقتك ثائراً ، أيتها الصفحات ، ثم محوتك محواً بعود ثقاب ، أوديت بك فى لحظة من لحظات ثورتى على نفسى وعلى أصدقائى الذين أضلونى ؛ وفعلت ما فعلت دون تردد أو نكوص ، أحرقتك لكى تصفيك النار ، وتعيد إليك نقاءك المفقود ، فأنت أيضاً قد دنست ، وهم ، هم أيضاً الألى دنسوك ، لقد لطخوك كما لطخوا صاحبك المأفون ، الذى كان يقدمك إليهم بين أيام وأيام ، فيقرؤونك ساخرين ، صاحبك الذى أوحت إليه الغرارة والوهم أن المفر فى التراب قدير على فهم عاشق السماء

برغمى فارقتك ، وبرغمى قضيت عليك ، ولكن هيهات ، هيهات أن أنساك !

* * *

هذا أيها العاشق سبيلك الجديد : الصمت المطبق ، والسكوت التام

احبس عواطفك فى حناياك ، وأسدل بينها وبين الناس الحجب والأستار ، وع — واذكر ذلك أبداً — أن الجسد لا يريد أن يفهم الروح ، ولن يستطيع إن أراد

وأنتما ، يا قلمه ، ولسانه : صمتاً شاملا أبدياً كصمت القبر الرهيب فى الليل البهيم ، فقد جنى « المسكين » من ثرثرتكما أفانين النكد وضروب العذاب ... ارحماه ! ...

عزيز الحاج

نزيل القاهرة